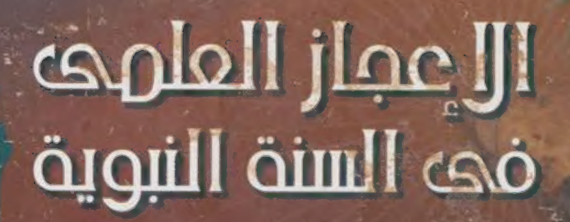


الإعجاز العلمي في السنة النبوية

الجزء الثاني

الدكتور

زغلول النجار

أستاذ علم الأرض وزميل الأكاديمية الإسلامية للعلوم



نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

مكتبة | 641

الإعجاز العلمى فى السنة النبوية

الجزء الثانى

د. زغلول النجار

أستاذ علوم الأرض وزميل الأكاديمية الإسلامية للعلوم
رئيس لجنة الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم
بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية
جمهورية مصر العربية

طبعة منقحة ومزيدة



العـــنـــوان: الإعجاز العلمى فى السنة النبوية «الجزء الثانى»
المؤلـــف: د . زغلول النجـــار .
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم .
تاريخ النشر: الطبعة الخامسة إبريل 2005م .
رقم الإيداع: 2004/ 11046
الترقيم الدولى: ISBN 977-14-2848-9

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة
ت: 3466434(02)-(02) 3472864 فاكس: 3462576 (02) ص.ب: 21 إمبابة
البريد الإلكترونى للإدارة العامة للنشر: publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: 8330287 (02) - 8330289 (02) - فاكس: 8330296 (02)
البريد الإلكترونى للمطابع: press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسى: 18 ش كامل صدقى - الفجالة - القاهرة - ص . ب : 96 الفجالة - القاهرة.
ت : 5909827 (02) - 5908895 (02) - فاكس: 5903395 (02)

مركز خدمة العملاء: الرقم المجانى: 08002226222
البريد الإلكترونى لإدارة البيع: sales @nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدى)
ت: 5230569 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 47 شارع عبد السلام عارف
ت: 2259675 (050)

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com
موقع البيع على الإنترنت: www.enahda.com

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ، ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونؤمن به ، ونتوكل عليه ، ونثنى عليه الخير كله ، ونصلى ونسلم على أنبياء الله ورسله أجمعين ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، ونخص منهم بأفضل الصلاة وأزكى التسليم : خاتمهم أجمعين : سيدنا محمدًا النبى الأمين ، الذى بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الناس كافة ، وجاهد فى سبيل الله حتى أتاه اليقين ، فنسأل الله (تعالى) أن يجزيه خير ما جازى نبيًا عن أمته ، ورسولا على حسن أداء رسالته ، وأن يؤتيه الوسيلة والفضيلة ، وأن يبعثه المقام المحمود الذى وعده ، إن ربى لا يخلف الميعاد . . آمين . .

وبعد . .

فمن أسس الإسلام العظيم : العقيدة الصحيحة ، والعبادة السليمة ، ومكارم الأخلاق ، وحسن المعاملة مع الآخر . والعقيدة الصحيحة قوامها الإيمان بالله ، وبملائكته ، وكتبه ورسله ، وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، وهذه القضايا تقع كلها فى إطار الغيب المطلق ، الذى يحتاج الإنسان فيه إلى بيان من الله ، يكون بيانًا ربانيًا خالصًا ، لا يداخله أدنى قدر من التصورات البشرية ،

وكذلك العبادة لابد وأن تكون أوامر من الله ـ تعالى ـ أو من رسوله ﷺ ، ودساتير الأخلاق وفقه المعاملات وكلها من ضوابط السلوك ، والتاريخ يؤكد لنا عجز الإنسان دوما عن وضع ضوابط صحيحة لسلوكه .

والإيمان بالله يقتضى التسليم له (سبحانه) بالألوهية ، والربوبية ، والوحدانية ـ بغير شريك ، ولا شبيه ، ولا منازع ، ولا صاحبة ، ولا ولد ـ وهو التوحيد الخالص ، وفى ذلك يقول الحق (تبارك وتعالى) :

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران : ١٨)

والإيمان بالله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، وبملائكته ، وبكتبه ورسله يقتضى التسليم بوحدة الدين وهى حقيقة يقررها ربنا (تبارك وتعالى) بقوله :

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ . (آل عمران : ١٩)

وقوله (عز من قائل) : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران : ٨٥)

والإسلام العظيم علمه ربنا (سبحانه وتعالى) لأبينا آدم (عليه السلام) لحظة خلقه ، وعلم آدم بنيه ، وعاش الإنسان بهذا الهدى

الربانى سعيدًا ، محققا رسالته فى هذه الحياة : عبدا لله (الواحد الأحد) ، يعبد ربه (تعالى) بما أمر ، ويجتهد فى حسن القيام بواجبات الاستخلاف فى الأرض وعمارتها ، وإقامة عدل الله فيها ، حتى يلقى الله (تعالى) وهو راض عنه . .!

ولكن الإنسان فيه ميل للنسيان ، وله قدر من الشهوات ، وفى نفسه صراع بين الحق والباطل ، وهو معرض لوساوس الشيطان ، وإغوائه المستمر بالخروج على منهج الله ، ومع النسيان ، والشهوات ، والصراع ، والإغواء تفقد المجتمعات الإنسانية بالتدريج نور الهداية الربانية ممثلة فى الدين الذى شرعه الله (تعالى) لعباده ، وبفقدان الدين ، أو تحريفه وتبديله تفقد المجتمعات الإنسانية سعادتها ، وتهبط فى دياجير من الظلام والظلم الذى يشقيها ، ويتعسها ، فتشقى وتشقى من حولها . .!

ويبقى الحال كذلك حتى يَمُنَّ الله (تعالى) على كل أمة من الأمم بنبى جديد يرد الناس إلى دين الله إذا كانت الرسالة لا تزال محفوظة عندهم ، ولكن انحرف الناس عنها . فإذا فقدت رسالة السماء مَنَّ ربنا (تبارك وتعالى) برسول يأتيهم بنفس الرسالة ، ومن نفس المصدر ، يَدْعوهم إلى الإسلام من جديد ، فيؤمن به من يؤمن ، ويكفر به من يكفر .

وظل الحال كذلك والإنسانية بين استقامة على منهج الله وانحراف عنه ، فى مد وجزر حتى مَنَّ الله (تعالى) عليها بالنبى الخاتم والرسول الخاتم ، ومعه الرسالة الخاتمة «الإسلام فى كماله وتمامه» ، وهى الرسالة التى أنزلها الله (سبحانه) للناس جميعا ،

وتعهد (تبارك اسمه) بحفظها فحفظت بنفس اللغة التى أوحيت بها «اللغة العربية» ، وحفظت بتفاصيلها الدقيقة كلمة كلمة ، وحرفا حرفا على مدى أربعة عشر قرنا أو يزيد ، وإلى أن يرث الله (تعالى) الأرض ومن عليها ، وذلك تحقيقا للوعد الإلهى الذى قطعه ربنا (سبحانه) على ذاته العلية فقال (عز من قائل) :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر : ٩)

هذا فى الوقت الذى تعرضت كافة صور الوحى السابقة إما للضياع التام أو لقدر من التحريف الذى أخرجها عن إطارها الربانى ، وجعلها عاجزة عن هداية أصحابها . .!

ويخبرنا الرسول الخاتم والنبى الخاتم ﷺ بأن الله (تعالى) قد مَنَّ على البشرية بحوالى المائة والعشرين ألف نبى ، وأن الله (سبحانه وتعالى) قد اصطفى من هذا الجمع الغفير من الأنبياء ثلاثمائة وبضعة عشر رسولا* ، لا يوجد أثر لرسالاتهم اليوم إلا ما بقى من رسالة موسى (عليه السلام) ، وقد تعرض إلى قدر من التحريف الشديد على أيدى أحبار اليهود ، وتكفى فى ذلك الإشارة إلى أن هذه الأخبار المجموعة الآن فيما يطلق عليه اسم الأسفار الخمسة الأولى من «العهد القديم» لم تدون إلا بعد وفاة موسى «عليه السلام» بأكثر من ثمانية قرون ، وأنه قد أضيف إليها العديد من

* روى الإمام أحمد عن أبى ذر الغفارى (رضي الله عنه) أنه قال : قلت : يارسول الله ، أى الأنبياء كان أول؟ قال ﷺ : آدم . . قلت يارسول الله ، ونبى كان؟ قال : «**نعم نبى مكلم**» قلت : يارسول الله ، كم المرسلون؟ قال : «**ثلاثمائة وبضعة عشر جمًّا غفيرا**» وفى رواية أبى أمامة قال أبو ذر : قلت : يارسول الله ، كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال : «**مائة ألف وعشرون ألفا، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيرًا**» (رواه أحمد) .

الأسفار المنحولة ، والقصص المكذوبة ؛ ليشتروا بها ثمنا قليلا كما وصفهم القرآن الكريم . يقول الحق (تبارك وتعالى) : ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ** ﴾ (البقرة : ٧٩)

وبقوله (تعالى) أيضا : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ** ﴾ . (البقرة : ١٥٩) .

أما إنجيل نبى الله عيسى (عليه السلام) فلا وجود له اليوم ، وما بقى من ذكريات عنه كُتب بعد رفعه بأكثر من قرن من الزمان ، وبأيدى أناس عديدين من المجهولين ، وفى أماكن متفرقة من الأرض ، وفى أزمنة متباعدة ، وقد تعرض للعديد من الحذف والإضافة ، والتبديل والتغيير لأن الذين شاركوا فى كتاباتها كانوا يتصورون أنهم يكتبون شيئا من التاريخ وليس شيئا من الدين ، ولا تزال هذه الكتابات التى يعترف علماء اللاهوت المسيحى بأنها ـ كلها كتابات بشرية ، وليست وحيا سماويا ـ لا تزال ترجع ، ويعاد تحريرها وصياغتها ، ولا تزال تُعدل إلى يومنا هذا ، بين حذف وإضافة ، وتغيير وتبديل ، وترجمات متعارضة ، ومراجعات متعددة ، وانحراف واضح . .!

وتَعَهُّدُ ربنا (تبارك وتعالى) بحفظ رسالته الخاتمة مردُّه إلى العدل الإلهى ، الذى يقتضى ألا يعذب الله (سبحانه) عبدًا من عباده بغير إنذار كاف وفى ذلك يقول (عز من قائل) :

﴿ ... **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا** ﴾ * (الإسراء : ١٥)

ولما كان سيدنا محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، ولما كانت رسالته ﷺ قد تكاملت فيها كل رسالات السماء السابقة ، فختمت برسالته الرسالات ، وببعثته النبوات ، وانقطع وحى السماء ، كان لابد من حفظ هذه الرسالة الخاتمة وإلا ما تحقق وعد الله ألا يعذب عبدا إلا بإنذار ، وبإرسال رسول .

وببقاء رسالة سيدنا محمد ﷺ محفوظة بحفظ الله فكأنه لا يزال قائما بيننا بشيرًا ونذيرًا ، يبلغ هداية الله لأهل الأرض جميعا إلى يوم الدين وذلك لأن الإنسان لا يمكنه فهم رسالته فى هذه الحياة ولا مصيره من بعدها بغير وحى من الله تعالى يوضح له من هو ، ومن الذى خلقه وأرسله فى هذه الحياة . وما هى رسالته فيها وكيف يمكن له أن يحقق تلك الرسالة ، ثم ما هو مصيره من بعد هذه الحياة؟

فرسالات السماء هى هداية من الله (تعالى) للإنسان فى القضايا التى لا يستطيع الإنسان أن يضع لنفسه فيها تصورات وضوابط صحيحة لوقوعها فى دائرة الغيب المطلق الذى لا سبيل للإنسان فى الوصول إليه إلا عن طريق وحى السماء ، أو فى دائرة ضوابط السلوك التى يعجز الإنسان دوما عن وضع ضوابط صحيحة لنفسه فيها ، وذلك من مثل قضايا العقيدة (وهى غيب مطلق) ، والعبادة (وهى أوامر إلهية مطلقة) ، والأخلاق والمعاملات (وكلاهما ضوابط للسلوك) ، وهذه كلها من القضايا التى إذا خاض فيها الإنسان بغير هداية ربانية خالصة فإنه يضل ضلالا بعيدا .

والذى يتأمل هذه القضايا فى كتاب الله ، وفى سنة رسوله ﷺ يجدها واضحة الدلالة على أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق ، وأن النبى الخاتم والرسول الخاتم ﷺ الذى تلقى القرآن الكريم كان موصولا بالوحى ، ومعلما من قبل خالق السماوات والأرض .

وهذا التسلسل المنطقى لا يمكن لعقل سوى أن يرفضه ولكن الله (تعالى) يعلم (بعلمه المحيط بكل شىء) أن الإنسان سيصل فى يوم من الأيام إلى مرحلة كالتى نعيشها اليوم ، يتجمع له فيها من المعارف بالكون ، ومكوناته ، وظواهره ، وسننه ، مالم يتوفر لجيل من الأجيال من قبل ، فينبهر باكتشافاته العلمية ، وتطبيقاتها التقنية انبهارا يغمسه فى أمور الدنيا إلى آذانه ، ويصرفه عن أمور الدين ، وركائزه ، أو يشغله عنها حتى يتجاهلها ، أو ينكرها بالكامل ، كما هو حادث فى غالبية المجتمعات غير المسلمة التى ركبها الزهو والغرور ، بإنجازاتها العلمية والتقنية ، ولذلك أبقى ربنا (الحكيم الخبير) فى محكم كتابه ، وفى سنة خاتم أنبيائه ورسله ﷺ من حقائق الكون ووصف عدد من ظواهره ، وسننه ما يقيم على إنسان اليوم الحجة البالغة بالمنطق العلمى ـ الذى يتباهى به ـ أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق ، وأن هذا النبى الخاتم والرسول الخاتم الذى تلقى القرآن الكريم كان موصولا بالوحى ، ومعلما من قبل خالق السموات والأرض ، وهذا وحده كافٍ لتحريك القلوب الواعية ، والنفوس السوية ، والعقول المنصفة إلى قَبول دين الله الذى لا يرتضى ربنا (تبارك وتعالى) من عباده دينا سواه ، فيعود الناس ـ

وفى مقدمتهم أهل العلوم البحتة والتطبيقية ـ مرة أخرى إلى الله ، مسلِّمين بحقائق الغيب التى بدأت الحضارة المادية المعاصرة بإنكارها ، وانتهت بحوثها العلمية إلى إقرارها والتسليم بصدقها . .!

وعلى ذلك فإن من الأسرار المكنونة فى كتاب الله (القرآن الكريم) ، وفى سنة خاتم أنبيائه ورسله ﷺ لهى تلك الإشارات الكثيرة إلى الكون وإلى عدد من مكوناته ، وظواهره ، وسننه ، والتى جاءت فى أكثر من ألف آية صريحة من آيات القرآن الكريم ، وفى العديد من أقوال المصطفى ﷺ والتى نسلم بأنها لم ترد من قبيل الإخبار العلمى المباشر لأن الكسب العلمى قد ترك لاجتهاد الإنسان جيلا بعد جيل ، ولذلك فقد جاءت تلك الإشارات الكونية كلها فى مقام الاستدلال على طلاقة القدرة الإلهية المبدعة فى الخلق ، وفى التأكيد على أن الذى أبدع هذا الخلق قادر على إفنائه ، وعلى إعادة خلقه من جديد ، وقد كانت قضايا الخلق والبعث ـ ولا تزال ـ معضلة العقول القاصرة ، والقلوب الغافلة ، وحجتهم فى إنكار الخالق وجحوده (سبحانه وتعالى) ، وفى رفض ما أنزل من الدِّين . .!!

ونسلم أيضا بأن هذه الإشارات القرآنية والنبوية الشريفة إلى الكون ومكوناته وظواهره جاءت فى مقام تنبيه المسلمين إلى أهمية التعرف على خلق الله ، واستقراء سننه فى الكون ، وتوظيفها فى عمارة الأرض ، وفى حسن القيام بواجبات الاستخلاف فيها .

ومع هذا التسليم والإقرار تبقى الإشارات الكونية فى كتاب

الله ، وفى سنة رسوله ﷺ بيانا من الله الخالق ، ووحيا أوحاه إلى خاتم أنبيائه ورسله فلابد وأن تكون حقا مطلقا ، ولو أن علماء المسلمين اهتموا بتحقيق تلك الإشارات تحقيقا علميا دقيقا لسبقوا غيرهم من الأمم فى الوصول إلى العديد من حقائق الكون ، ولو أنهم قاموا بعد هذا التحقيق بتقديمها إلى الناس فى عصر العلم والتقنية الذى نعيشه لكانت من أنجح وسائل الدعوة إلى هذا الدين الخاتم الذى بُعث به النبى الخاتم ﷺ والذى لا يرتضى ربنا (تبارك وتعالى) من عباده دينا سواه . . وذلك لأن فى تلك الإشارات الكونية تثبيتاً للمؤمنين على إيمانهم ، وهداية للضالين التائهين من الكفار والمشركين ، وما أكثرهم فى زماننا ، وما أخطرهم على مجتمعاتنا فى زمن الضياع الذى يعيشه إنسان اليوم . . .!

ومصادر الدين الإسلامى هى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة التى عنيت بشرح قواعد الدين كما أنزلت فى كتاب الله ، وتطبيقها تطبيقا عمليا فى واقع الناس ، وتفصيلها وتثبيتها ، ومن هنا كانت العناية بالسنة ضرورة من ضرورات الدين ، ولازمة من لوازمه ، وكان الاسترشاد بأحكامها فى كثير من الأمور التى أجملها القرآن الكريم من العوامل المساعدة فى تفسير هذا الكتاب العظيم ، ولذلك حرص علماء الإسلام على جمع السنة النبوية ، وتمحيصها تمحيصا دقيقا ، وتبويبها ، وشرحها ، وصيانتها ، وحفظها بمختلف وسائل الحفظ كمصدر مهم من مصادر هذا الدين الخاتم .

وقد اعتنى كل من القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة أساسا بركائز الدين من العقيدة ، والعبادة ، والأخلاق ، والمعاملات ، وهى

من الدين فى الصميم ، وكل ركيزة من هذه الركائز إذا درست بشىء من الموضوعية والحيدة فإنها تثبت لكل ذى بصيرة أن كلا من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، معجز فى بيانه ، ونظمه ، معجز فى تشريعه وعلمه ، وفى خطابه للنفس الإنسانية ، وقدرته على تربيتها ، معجز فى تفاصيل العقيدة التى يدعو إليها ، والعبادة التى يأمر بها ، والأخلاق التى يؤكد على مكارمها ، والمعاملات التى يحدد دساتيرها ، وعلى أصل العدل والتسامح فيها ، كما أن كلا منهما معجز فى سرده لقصص بعض الأمم السابقة ، والأحداث الغابرة ، وفى تنبؤاته بالعديد من الأمور المستقبلية التى تحقق بعضها بالفعل ، ويبقى الباقى ليتحقق مع الزمن وكل ذلك يشهد للقرآن الكريم بأنه لايمكن أن يكون صناعة بشرية ، بل هو كلام الله الخالق ، كما يشهد للنبى الخاتم ﷺ بالنبوة وبالرسالة ، وبأنه لا ينطق عن الهوى .

كذلك فإن قصص الأمم السابقة فى كل من القرآن الكريم ، وأقوال النبى الخاتم ﷺ لمما يؤكد على هذه الحقيقة ، وتأتى الإشارات الكونية داعمة لهذا التأكيد بأسلوب العصر ولغته .

ونحن فى محاولاتنا لفهم الآيات الكونية الواردة فى كتاب الله وفى فَهم الإشارات إلى أمثالها فى أحاديث رسول الله ﷺ نحتاج إلى فهمها أولا فهمًا دقيقًا فى إطار اللغة العربية ، ودلالات ألفاظها ، وأساليب التعبير فيها ، وفى أضواء أسباب النزول أو سياق الحديث النبوى الشريف ، وأسباب وروده ، وفى أنوار النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الأخرى المتعلقة بنفس

الموضوع ، وفى إطار المبادئ العامة والمقاصد الكلية للإسلام ، بالإضافة إلى توظيف كل قطعى وثابت من المعارف العلمية الحديثة فى المجال الذى تتحدث عنه الآية القرآنية أو يشير إليه الحديث النبوى الشريف .

هذا بالإضافة إلى أن إبراز السبق القرآنى والنبوى بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون وأسراره وظواهره وسننه ، هذا السبق لكل المعارف الإنسانية بعدد متطاول من القرون ، مع دقة علمية فى التعبير ، وشمول وإحاطة فى الدلالة ، وإيجاز يعتبر ضربا من الإعجاز ، لما يجعل من تلك الإشارات الكونية وسيلة من أفضل وسائل الدعوة إلى الله فى زمن التقدم العلمى والتقنى الذى نعيشه ، والذى يتعرض فيه الإسلام والمسلمون إلى هجمة همجية كافرة وشرسة ، مدعومة بكل وسائل التفوق المادى ، ولكنها تفتقر إلى أبسط ضوابط العقل ، وقواعد المنطق السوى ، كما تفتقر إلى أبسط القيم الإنسانية ، وأقل الضوابط الأخلاقية الكريمة والسلوكية الصحيحة . . . !! .

فمنذ أن انتهت الحروب الصليبية بهزيمة جيوش الغرب المعتدية على أرض فلسطين ، واندحارها أمام جحافل الجيش الإسلامى انصب تفكير الغربيين على الانتقام من المسلمين بمحاولة تشويه الدين الإسلامى تحت مظلة دراسته ونقده ، وفى هذا الجو الملىء بالكراهية ، والتعصب الأعمى ضد الإسلام وأهله ظهرت مدارس الاستشراق التى كرست جهدها فى دراسة الإسلام ، والحضارة الإسلامية ، وتاريخ ، وعادات ، وسلوكيات المسلمين من أجل

إيجاد ثغرات للهجوم عليهم منها ، وطبيعى أن تأتى هذه الدراسات فى غالبيتها بنتائج أبعد ما تكون عن الإنصاف ، وعن الموضوعية ، وعن الحيدة العلمية ، وكذلك تأتى أعمال المستشرقين غالبا وهى مشوبة بكثير من مشاعر الكراهية ، ونزعات الغرور والاستعلاء . .!

وفى هذه الحروب الكلامية حاول المستشرقون التهجم على القرآن الكريم ، وعندما فشلوا فى ذلك ، وارتدت أسلحتهم إلى صدورهم ، وجهوا سهامهم إلى السنة النبوية المطهرة فى حملة تشكيكية منظمة ، كانت دعواهم فيها أن السنة لم تُدَوَّن على عهد رسول الله ﷺ لنهيه (صلوات الله وسلامه عليه) عن ذلك خشيةً على القرآن الكريم حتى لا يختلط شىء من السنة بتدوينه* .

وهؤلاء النفر من شياطين المستشرقين يعلمون جيدا أن السنة النبوية الشريفة هى المصدر الثانى من مصادر التشريع الإسلامى ، وهى الصلة الوثيقة بين أجيال الأمة الإسلامية من جهة ، وبين نبيها ورسولها الخاتم ﷺ من جهة أخرى ، وهو إمام الأنبياء والمرسلين ﷺ ، وأن قطع هذه الصلة بالتشكيك فى سنة هذا الرسول الخاتم والنبى الخاتم ﷺ تمثل تشكيكا فى الإسلام ، وهدما لركن أساسى من أركانه . .!

* وفى الرد على ذلك نقتطف قول المصطفى ﷺ لعبد الله بن عمرو : «**اكتب فوالذى نفسى بيده ما خرج منى إلا الحق**» وقد جاء ذلك فى الحديث الذى أخرجه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو أنه قال : كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه ، فنهتنى قريش فقالوا : إنك تكتب كل شىء تسمعه من رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم فى الغضب ، فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : «**اكتب فوالذى نفسى بيده ما خرج منى إلا الحق**» .

وعلى الرغم من وضوح الهدف من وراء هذه الهجمة الاستشراقية المغرضة ـ والمتسترة زورا برداء البحث العلمى لتخفى كمّاً هائلا من الكراهية والحقد، والتعصب للباطل ضد الحق، والداعية زورا وبغير أدنى دليل مادى إلى التشكيك فى حجية السنة النبوية الشريفة، وفى مصداقية رواتها، وجامعيها، وشراحها، وأغلبهم من كرام الصحابة والتابعين، وتابعى التابعين ومن بعدهم، أملا فى إغراء المسلمين بالإعراض عن سنة نبيهم كوسيلة من وسائل هدم هذا الدين الخاتم ـ فإن نفرا من أبناء المسلمين قد انساق وراء هذه الصيحات الشيطانية المنكرة، والمؤامرات الحاقدة الماكرة، فنادى بأن الدين جاء فى القرآن الكريم لأنه متواتر، وفى السنة العملية لأنها من حيث العمل بها فى تواصل أصبحت تحقق صفة التواتر، أما عن السنة القولية فلا يلزم العمل بها . . . وفى هذا الادعاء الباطل افتراءٌ على رسول الله ﷺ وعلى سنته، ومعارضة صريحة لمقولته الشريفة :

« . . **فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهتدين، عضوا عليها بالنواجذ** . .» (أحمد، أبوداود، ابن ماجه، الترمذى) .

وقوله : «**ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه**» . . (سنن أبو داود) .

وفى هذا الادعاء الباطل أيضاً مخالفة صريحة لأوامر الله (تبارك وتعالى) لقوله (عز من قائل) : ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (الحشر : ٧)

● وتتلخص مصادر التشريع الإسلامى فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، والإجماع ، والقياس .

● والسنة هى كل ما أثر عن النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة أو سيرة سواء كان ذلك قبل البعثة الشريفة أو بعدها .

وطاعة رسول الله ﷺ واجبة بنص القرآن الكريم إذ يقول الحق (تبارك وتعالى) :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ . (آل عمران : ١٣٢)

ويقول : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ .

(الحشر : ٧) .

● ولقد قرن ربنا (تبارك وتعالى) طاعة الرسول ﷺ بطاعته فى آيات كثيرة من آيات القرآن الكريم واعتبر مخالفة ذلك كفرًا . مثل قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾

(آل عمران : ٣٢) .

وكذلك قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ . (الأنفال : ٢٤) .

● ويعتبر القرآن الكريم طاعة رسول الله ﷺ طاعة لله ، واتباعه حباً لله حيث يقول على لسان المصطفى ﷺ :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ . (آل عمران : ٣١) .

● ويحذر القرآن الكريم من مخالفة أوامر رسول الله ﷺ فيقول :

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . (النور : ٦٣) .

● ويحرم القرآن الكريم على المؤمنين مخالفة حكم رسول الله ﷺ أو عصيان أوامره حيث يقرر :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾ .

(الأحزاب : ٣٦) .

● والقرآن الكريم ينفى الإيمان عن الذين يعرضون عن تحكيم الرسول ﷺ فى مواطن الخلاف بينهم فيقول :

﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

(النساء : ٦٥) .

● ويؤكد القرآن الكريم على أن السمع والطاعة لله وللرسول ﷺ من صفات المؤمنين ومن لوازم الفلاح فى الدنيا والآخرة فيقول :

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ . (النور : ٥١) .

● ويؤكد المصطفى ﷺ ذلك بقوله الشريف :

«تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما: كتاب الله وسنتى» .

● ويقول ﷺ : **«عليكم بالسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتى، وسنة الخلفاء الراشدين المهتدين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»** .

● ويقول ﷺ : **«كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبَى»** قالوا : يا رسول الله ومن يأبى؟ قال ﷺ : **«من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبَى»** .

● ويقول ﷺ : **«رحم الله امرءاً سمع مقالتى فأدّاها كما سمعها، فربَّ مُبَلَّغ أوعى من سامع»** .

● وقد حذر ﷺ من الكذب عليه تحذيراً شديدًا فقال : **«إن كذباً عَلىّ ليس ككذب على أحد، ومن كذب عَلىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»** .

ولذلك حرص الصحابة (عليهم رضوان الله) على نقل أخبار رسول الله ﷺ بدقة بالغة على اعتبار أقواله وأفعاله وتقريراته ﷺ أحكاماً شرعية لا يختلفون عليها ، بل يسلمون بها تسليماً مطلقاً ، ويتبعونها اتباعاً تاماً ، ويلزمون أنفسهم بها إلزاماً كاملاً ، ومن هنا فقد حرصوا على حفظها وتناقل نصوصها نقلاً متواتراً ، كما حرصوا على تدوينها فى حياة المصطفى ﷺ وبعد مماته على

الرغم من حرصه الشديد ﷺ على القرآن الكريم وتدوينه قبل كل شىء فقال :

«لا تكتبوا عنى، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه» .

إلا أن النهى هنا كان خاصاً بمن لا يؤمَن عليه الغلط والخلط بين القرآن والسنة ، وأنه قد نسخ بقول المصطفى ﷺ لعبد الله ابن عمرو : **«اكتب عنى فوالذى نفسى بيده ماخرج من فمى إلا الحق»** .

وعلى الرغم من ذلك كله فقد حمل أعداء الإسلام على السنة النبوية المطهرة وهاجموها وشككوا فى حجيتها وفى صدق جامعيها ورواتها من أعلام الصحابة والتابعين وتابعى التابعين .

ومن المؤسف حقاً أن يتبع أعداء الإسلام فى ذلك نفر من أبناء المسلمين الذين انخدعوا بمناهج المستشرقين والمؤرخين الغربيين ، وهو منهج كاذب لجهلهم بحقائق الإسلام وتراثه ، ولحقدهم الدفين على الإسلام والمسلمين ، ولتعصبهم الأعمى وغرورهم واستعلائهم على معرفة الحق .

ونحن لا ننكر محاولات الحاقدين من كل من المشركين ، والكافرين ، والمنافقين ، والزنادقة ، والشعوبيين فى الدس على رسول الله ﷺ ، وفى وضع الحديث . كما لا ننكر أن الخلافات السياسية التى أثارها هؤلاء الحاقدون فى أواخر خلافة سيدنا عثمان (رضى الله عنه) وفى خلافة سيدنا علىّ (كرم الله تعالى وجهه)كانت من الأسباب المشجعة على وضع الحديث ، إلا أن

جهود علماء المسلمين من أجل تحقيق السنة وتنقيتها من دس الوضاعين قد فاقت جهود التحقيق فى أى مجال آخر ، وقد سلكوا من أجل تحقيق ذلك طرقاً فى النقد والتمحيص لم يسبقوا بها فى أى مجال آخر ، وذلك من أجل تمحيص إسناد الحديث والتوثق منه ، وقد أنشأ علماء الحديث من أجل ذلك من العلوم ما لم تعرفه البشرية من قبل وذلك من مثل «**علم الجرح والتعديل ، وعلم مصطلح الحديث**» ، وغيرهما من العلوم التى فاقت الخمسة والستين علماً فى مختلف مجالات علوم الحديث ، وبذلك قسموا الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف وتمكنوا من تحقيق السنة النبوية المطهرة ، كما لم يحقق علم من العلوم الإنسانية من قبل ولا من بعد .

ورداً لهذه الدعوة الباطلة المشبوهة اخترت فى هذا الكتيب عددًا محدودًا من أحاديث رسول الله ﷺ ، التى أشارت إلى بعض أشياء الكون وظواهره لشرح ما جاء فيها من حقائق كونية ، بدقة تعبيرية فائقة ، وصياغة علمية سلسة ، وسبق بيِّن بالإشارة إلى تلك الحقائق أو الظواهر والسنن التى لم تصل إلى إدراك الإنسان إلا منذ عقود قليلة ، وقد تكلم بها المصطفى ﷺ من قبل أربعة عشر قرنا ، وهو الأمى الذى عاش فى مجتمع أمى ، لم يكن له أدنى قدر من الثقافة العلمية .

وهذا السبق يؤكد جانبًا من جوانب الإعجاز فى أحاديث رسول

الله ﷺ هو **الإعجاز العلمى فى السنة** النبوية المطهرة الذى لم يسبق أن لقى اهتمامًا كافيًا من علماء الحديث ، ولا من المشتغلين بجوانب الإعجاز العلمى فى كتاب الله .

وهذا الجانب العلمى هو أحد جوانب الإعجاز العديدة فى أحاديث رسول الله ﷺ ، وهو وحده كاف لدحض دعاوى المبطلين ، وتشكيك المشككين فى صدق رواة الحديث ، ودقة جامعيها ، ولرفض الدعوة الباطلة إلى إسقاط حجيتها ، مع تسليمنا بأن هناك من الأحاديث الضعيف ، والغريب ، والموضوع ، والمضطرب ، والشاذ ، والمردود ، والمتروك ، والمعلّ ، والمنكر وغيرها من الأحاديث التى لا يؤخذ بها ، والتى قام علماء الحديث بغربلتها غربلة دقيقة فى تصانيفهم المتعددة لها .

وعلماء الحديث ـ بصفة عامة ـ وعلماء الجرح والتعديل ـ بصفة خاصة ـ قد أعطوا علم الحديث من جهدهم ما أغنانا عن الخوض فى كلام دسه أعداء الإسلام على رسول الله ﷺ زورًا وبهتانًا ، وكان علم الحديث مدرسة تعلم منها الغرب معنى التوثيق العلمى الصحيح .

وكانت الأحايث النبوية الشريفة التى جمعتها هنا قد نشرت بإيجاز تباعًا طوال شهر رمضان (١٤٢٢هـ) على صفحات جريدة الأهرام فى كل يوم حديث . ثم طلب منى

عدد من الزملاء والإخوان والأبناء الذين تابعوها على صفحات الأهرام جمعها لإمكانية الاستفادة المستمرة بها إن شاء الله ، ونزولا على رغبتهم جمعت هذه الأحاديث بسندها فى هذا الكتيب الذى أسأل الله (تعالى) أن ينفع به ، وأن يعيننى على مزيد من خدمة كتابه وسنة رسوله ﷺ فى مجال العلوم الكونية التى أفاء الله (سبحانه وتعالى) علىَّ فيها بشىء من العلم ، وأن يقدر لى ترجمة هذا الجهد إلى لغات أخرى ، وأن يعفو عن أى خطأ أو زلل فى هذا العمل المتواضع ، وألا يحرمنى أجره ، وأن يجعل ذلك الأجر فى ميزان الحسنات :

﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ .

(الشعراء : ٨٨ ، ٨٩) .

اللهم آمين آمين يارب العالمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الفقير إلى عفو ربه

زغلول راغب محمد النجار

١ «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته...»

● روى الإمام البخارى فى صحيحه (كتاب الصوم حديث رقم ١٩٠٩) بسنده قال :

حَدَّثَنَا آدَمُ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زِيَاد قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ : قَالَ النَّبِىُّ ﷺ أَوْ قَالَ : قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ **«صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ فَإِنْ غُبِّىَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلاثِينَ»** .

● وهذا الحديث رواه الإمام مسلم فى صحيحه (كتاب الصيام حديث رقم ١٨٠٩) قال :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَلام الْجُمَحِيُّ حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ يَعْنِى ابْنَ مُسْلِمٍ عَنْ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ابْنُ زِيَادٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ : **«صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ فَإِنْ غُمِّىَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا الْعَدَدَ»** .

● وفى رواية أخرى أوردها الإمام مسلم أيضا (كتاب الصيام حديث رقم ١٤١٠) قال :

وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذ حَدَّثَنَا أَبِى حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ زِيَادٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

«صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ فَإِنْ غُمِّىَ عَلَيْكُمْ الشَّهْرُ فَعُدُّوا ثَلاثِينَ» .

● والحديث أورده كذلك الإمام النسائى فى سننه (كتاب الصيام حديث رقم ٢٠٨٨) بسنده قال :

أَخْبَرَنَا مُؤَمَّلُ بْنُ هِشَام عَنْ إسْمَاعِيلَ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَاد عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : **«صُومُوا لِرؤيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ الشَّهْرُ فَعُدُّوا ثَلاثِينَ»** .

وقد روى الحديث بروايات عدة فى أغلب كتب السنة منها ما يلى :

● **«لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غم عليكم فاقدروا له»** (صحيح البخارى : حديث رقم ١٩٠٦) .

● حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّه بْنُ مَسْلَمَةَ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ نَافع عَنْ عَبْد اللَّه ابْنِ عُمَرَ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ رَمَضَانَ فَقَالَ : **«لاتَصُومُوا حَتَّى تَرَوْا الْهِلالَ وَلا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ»** (صحيح البخارى : حديث رقم ١٧٧٣) .

● حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ : قَرَأْتُ عَلَى مَالك عَنْ ابْن عُمَرَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِىِّ ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ رَمَضَانَ فَقَالَ : **«لا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْا الْهِلالَ ولا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ فَإِنْ أُغْمِىَ عَلَيْكُمْ فَاقْدِرُوا لَهُ»** (صحيح مسلم : كتاب الصيام حديث رقم ١٧٩٥) .

● أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ وَالْحَارِثُ بْنُ مِسْكِين قِرَاءةً عَلَيْه وَأَنَا أَسْمَعُ وَاللَّفْظُ لَهُ عَنْ ابْنِ الْقَاسِم عَنْ مَالك عَنْ نَافع عَنْ ابْن عُمَرَ

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ رَمَضَانَ فَقَالَ : «**لا تَصومُوا حَتَّى تَرَوْا الْهِلالَ وَلا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدِرُوا لَهُ**» (سنن النسائى : كتاب الصيام ، حديث رقم ٢٠٩٢) .

● حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْبَزَّازُ حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الضَّبِّيُّ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**لا تُقَدِّمُوا الشَّهْرَ حَتَّى تَرَوْا الْهِلالَ أَوْ تُكْمِلُوا الْعِدَّةَ ثُمَّ صُومُوا حَتَّى تَرَوْا الْهِلالَ أَوْ تُكْمِلُوا الْعِدَّةَ**» قَالَ أَبُو دَاوُد وَرَوَاهُ سُفْيَانُ وَغَيْرُهُ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ رِبْعِيٍّ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يُسَمِّ حُذَيْفَةَ (سنن أبى داود ؛ كتاب الصوم : حديث رقم ١٩٨١) .

● حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**لا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْا الْهِلالَ وَلا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْا الْهِلالَ وَقَالَ: صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِه فَإِنْ غَبِيَ عَلَيْكُمْ فَعُدُّوا ثَلاثِينَ**» قَالَ شُعْبَةُ : وَأَكْثَرُ عِلْمِي أَنَّه قَالَ : «**لا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْا الْهِلالَ وَلا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْا الْهِلالَ**» (مسند أحمد : حديث رقم ٩٥٠٥) .

● حَدَّثَنِي يَحْيَى عَنْ مَالِك عَنْ نَافِع عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ رَمَضَانَ فَقَالَ : «**لا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْا الْهِلالَ وَلا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ**» (موطأ مالك : كتاب الصيام ، حديث رقم ٥٥٧) .

● حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَجِيدِ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ رَمَضَانَ فَقَالَ : **«لاتَصُومُوا حَتَّى تَرَوْا الْهِلالَ ولا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ»** (سنن الدارمى : كتاب الصوم ، حديث رقم ١٦٢٢) .

● حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : **«الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ لَيْلَةً فَلا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْهُ فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا الْعِدَّةَ ثَلاثِينَ»** (صحيح البخارى : كتاب الصوم ، حديث رقم ١٩٠٧) .

● حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **«إِنَّمَا الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ فَلا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْهُ ولا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدِرُوا لَهُ»** (صحيح مسلم : كتاب الصيام ، حديث رقم ١٧٩٧) .

● حَدَّثَنِي حُمَيْدُ بْنُ مَسْعَدَةَ الْبَاهِلِيُّ حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ حَدَّثَنَا سَلَمَةُ وَهُوَ ابْنُ عَلْقَمَةَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **«الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ فَإِذَا رَأَيْتُمُ الْهِلالَ فَصُومُوا وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدِرُوا لَهُ»** (صحيح مسلم : كتاب الصيام ، حديث رقم ١٧٩٨) .

● حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَيَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ

وَابْنُ حُجْر قَالَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا وقَالَ الآخَرُونَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ ابْنُ جَعْفَر عَنْ عَبْد اللَّه بْنِ دِينَار أَنَّهُ سَمعَ ابْنَ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه : «**الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ لَيْلَةً لا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْهُ وَلا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ إِلا أَنْ يُغَمَّ عَلَيْكُمْ فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدِرُوا لَهُ**» .(صحيح مسلم : كتاب الصيام ، حديث رقم ١٨٠٠) .

● حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْعَتَكِيُّ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ نَافع عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : «**الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ فَلا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْهُ وَلا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ ثَلاثِينَ** . قَالَ فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا كَانَ شَعْبَانُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ نَظَرَ لَهُ فَإِنْ رُئِيَ فَذَاكَ وَإِنْ لَمْ يُرَ وَلَمْ يَحُلْ دُونَ مَنْظَرِه سَحَابٌ وَلا قَتَرَةٌ أَصْبَحَ مُفْطِرًا فَإِنْ حَالَ دُونَ مَنْظَرِهِ سَحَابٌ أَوْ قَتَرَةٌ أَصْبَحَ صَائِمًا قَالَ فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يُفْطِرُ مَعَ النَّاسِ وَلا يَأْخُذُ بِهَذَا الْحِسَابِ . (سنن أبي داود : حديث رقم ١٩٧٦) .

● حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ مَسْعَدَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ حَدَّثَنِي أَيُّوبُ قَالَ كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إلى أَهْلِ الْبَصْرَةِ بَلَغَنَا عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ نَحْوَ حَدِيث ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ زَادَ : **وَإِنَّ أَحْسَنَ مَا يُقْدَرُ لَهُ أَنَّا إِذَا رَأَيْنَا هلال شَعْبَانَ لكَذَا وَكَذَا فَالصَّوْمُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِكذَا وَكَذَا إِلا أَنْ تَرَوْا الْهِلالَ قَبْلَ ذَلِكَ** . (سنن أبي داود : حديث رقم ١٩٧٦) .

● حَدَّثَنِى عَنْ مَالك عَنْ عَبْد اللَّه بْنِ دينَار عَنْ عَبْد اللَّه بْنِ عُمَرَ أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ : **«الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ فلا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْا الْهِلالَ ولا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ»** (موطأ مالك : حديث رقم ٥٥٨) .

● حَدَّثَنَا آدَمُ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ حَدَّثَنَا الأَسْوَدُ بْنُ قَيْس حَدَّثَنَا سَعِيدُ ابْنُ عَمْرو أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا) عَنْ النَّبِىِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : **«إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لا نَكْتُبُ وَلا نَحْسِبُ الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا يَعْنِى مَرَّةً تِسْعَةً وَعِشْرِينَ وَمَرَّةً ثلاثِينَ»** (صحيح البخارى : حديث رقم ١٩١٣) .

● حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ الأَسْوَدِ بْنِ قَيْس عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَمْرو يَعْنِى ابْنَ سَعِيد بْنِ الْعَاصِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : **«إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لا نَكْتُبُ وَلا نَحْسِبُ الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذا وَهَكَذَا»**، وَخَنَسَ سُلَيْمَانُ أُصْبُعَهُ فِى الثَّالِثَة يَعْنِى تِسْعاً وَعِشْرِينَ وَثلاثِينَ . (سنن أبى داود : حديث رقم ١٩٧٥) .

التعليق على الحديث:

يشترك فى تحديد الشهر القمرى حركات كل من القمر والأرض والشمس ، وأوضاعها النسبية الناتجة عن تلك الحركات ، والقمر تابع للأرض لايفارقها فى دورانها حول محورها ، ولا فى سبحها حول الشمس ، وهو يدور حول محوره بنفس سرعة دورانه حول الأرض ولذا يواجهها دائما بوجه واحد ، وبذلك يدور حول نفسه دورة واحدة فى كل شهر عربى ، تمثل يومه الذى يقتسمه

ليل ونهار يطول كل منهما إلى نصف طول الشهر القمرى ($\frac{1}{2}$ ١٤ إلى ١٥ يوما) .

وبمجرد خروج القمر من مرحلة المحاق (مرحلة الاقتران أو اجتماع الأرض والقمر والشمس على استقامة واحدة مع وجود القمر بين الأرض والشمس) يولد الهلال الجديد ، وبدورانه حول الأرض تزداد مساحة الجزء المنير من سطح القمر بالتدريج حتى يصل إلى التربيع الأول ، فالأحدب الأول ، فالبدر (مرحلة الاستقبال التى تكون فيها الأرض بين القمر والشمس) ، ثم باستمرار دورانه حول الأرض تبدأ مساحة الجزء المنير من القمر كما نراه من فوق سطح الأرض فى التناقص بالتدريج حتى يصل إلى الأحدب الثانى ثم التربيع الثانى ثم الهلال الأخير ، ثم يختفى فى مرحلة المحاق إلى مولد الهلال التالى .

وطول الشهر القمرى يتراوح بين (٢٩ يوما ، ٥ ساعات) و(٢٩ يوما ، ١٩ ساعة) ، ويبلغ فى المتوسط (٢٩,٥٣) يوما ، وبذلك يكون الشهر مرة ٢٩ يوما ، ومرة ٣٠ يوما ، وهذا نص حديث رسول الله ﷺ .

ومولد الهلال الجديد يقتضى السبق الظاهرى لحركة الشمس فى غروبها بالنسبة إلى غروب القمر ، وخروج القمر من وضع المحاق حتى يمكن رؤية الهلال بعد غروب الشمس .

والشهر القمرى الشرعى يبدأ برؤية الهلال الجديد بعد غروب الشمس ، وينتهى برؤية الهلال الوليد للشهر التالى بعد غروب الشمس كذلك ، وبذلك تكون الفترة الزمنية لهذا الشهر أياما

صحيحة ، وهى إما تسعة وعشرون يوما وإما ثلاثون يوما ، ولأسباب فلكية عديدة قد يحدث أن تتوالى الأشهر الناقصة أو الأشهر الكاملة مرة أو مرتين ، وعليه فإنه يجب أخذ ذلك فى الحسبان .

وإذا رؤى الهلال الجديد ، رؤية شرعية صحيحة (بعد غروب الشمس) فى مكان ما من الأرض ، فقد دخل الشهر بالنسبة لجميع الأماكن التى تشترك مع هذا المكان فى خط اتحاد المطالع فى هذا اليوم ، كما أنه يكون أكثر ظهورا فى الأماكن التى تقع إلى الغرب من هذا الخط فى جميع أنحاء الأرض ، وأما الأماكن التى تقع إلى الشرق من هذا الخط من خطوط اتحاد المطالع فإن الهلال الجديد يرى فيها فى الليلة التالية ويكون أكبر مساحة وأشد نورا .

ومعنى حديث رسول الله ﷺ الذى نحن بصدده أن علامة ابتداء الشهر القمرى هى رؤية الهلال بعد غروب الشمس فى الجو الصحو الذى لا يحول فيه حائل دون الرؤية الصحيحة ، فإذا حال حائل دون ذلك فإن المسلمين أمامهم من أحاديث رسول الله ﷺ خيار من اثنين هما :

١ ـ **«فإن غم عليكم فاقدروا له»** .

٢ ـ **«فإن غم عليكم فأكملوا العدة، ولا تستقبلوا الشهر استقبالا»** أى فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما .

فالتقدير يكون للذين يملكون القدرة على الحساب والتقنيات التى تمكنهم من تحقيق ذلك ، بينما يكون إكمال عدة شعبان ثلاثين يوما للذين لا يملكون شيئا من ذلك .

فسبحان الذى ألهم خاتم أنبيائه ورسله حقيقة أن الشهر القمرى إما أن يكون تسعا وعشرين يوما أو ثلاثين يوما ، وسبحان الذى علمه أن دخول الشهر الجديد وانتهاءه لايكون إلا برؤية الهلال بعد غروب الشمس تيسيرا على الخلق ، وهى من الحقائق التى لم يدركها الإنسان إلا فى القرنين الماضيين ، وورودها على لسان رسول الله ﷺ وهو النبى الأمى الذى بعث فى مجتمع بدائى لهو من أنصع الشهادات على صدق نبوته ﷺ .



٢ «.. هى على رسلها لا تبرح ولا تزول...»

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ سئل : هذه المغارب أين تغرب؟ وهذه المطالع من أين تطلع؟ فقال ﷺ : «هى على رسلها لاتبرح ولا تزول ، تغرب عن قوم وتطلع على قوم ، وتغرب عن قوم وتطلع ، فقوم يقولون غربت ، وقوم يقولون طلعت» .

(مسند الإمام أبى إسحاق الهمدانى)

التعليق على الحديث:

معنى هذا الحديث الشريف أن طلوع الشمس وغروبها يتبادلان على سطح الأرض باستمرار ، ولايمكن أن يتحقق ذلك إلا إذا كانت الأرض كرة أو شبه كرة ، وكانت تدور حول محورها أمام الشمس باستمرار فيتبادل الليل والنهار على سطحها بطريقة مستمرة إلى أن يرث الله (تعالى) الأرض ومن عليها .

فمن أهم ظواهر كروية الأرض اختلاف المطالع باختلاف الآفاق ، فكل من الشمس والقمر ، وغيرهما من أجرام السماء تغرب عن قوم على سطح أرضنا وتطلع على قوم ، وهى تجرى فى مدارات محددة على رسلها لا تبرحها ولا تزول عنها ، مصداقا لقوله (تعالى) : ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (يس : ٤٠) .

ونطق رسول الله ﷺ بهذه الحقائق الكونية بهذه الصياغة العلمية الدقيقة فى زمن ساد اعتقاد الناس باستواء الأرض وثباتها هو من إشراقاته النبوية الكريمة التى تشهد له بالنبوة وبالرسالة ، فلم يكن لأحد من أهل الجزيرة العربية إدراك فى زمن الوحى ، ولا لقرون متطاولة من بعده - لحقيقة كروية الأرض ، أو دورانها حول محورها أمام الشمس ، ولا إلمام بحركات كل من القمر والشمس ولا بحركات غيرهما من أجرام السماء ، ولا بأى من أشكال تلك الحركات الحقيقية والظاهرية ، فقد كانت البيئة العربية فى زمن الوحى بيئة بدائية بسيطة ، لا حظ لها من العلم بصفة عامة ولا من العلم بالكون ومكوناته بصفة خاصة .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى كل من كروية الأرض ، ودورانها حول محورها أمام الشمس ، وإلى سبحها فى مدارها حول هذا النجم فى العديد من آياته وذلك بإشارات ضمنية رقيقة لا تفزع البدو فى صحراء الجزيرة العربية ، وتحفظ الحقيقة العلمية فى نفس الوقت حفظا كاملا ، ومن ذلك قوله تعالى :

١ - ﴿ **خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ** ﴾ .(الزمر : ٥)

٢ - ويؤكد القرآن الكريم فى أكثر من آية من آياته على «مد الأرض» أى بسطها بغير حافة تنتهى إليها ، وهذا لايمكن أن

يحدث إلا إذا كانت الأرض كرة أو شبه كرة ، فالمد إلى ما لا نهاية هو قمة التكوير ، والشكل الوحيد الذى لا نهاية لبسطه هو الشكل الكروى ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ﴾ . (الرعد : ٣)

٣ ـ ويزيد ذلك تأكيدًا ما أشارت إليه آيات القرآن الكريم من تعبيرات المشرق والمغرب ، والمشرقين والمغربين والمشارق والمغارب ، مما يعنى كروية الأرض ، ودورانها على محورها أمام الشمس ، وميل محور الدوران على مستوى فلك دورانها حول الشمس .

٤ ـ كما تدعمه آيات سبح كل من الليل والنهار ، وإغشاء الواحد منهما بالآخر ، وإيلاج كل منهما فى الآخر ، واختلافهما ، وتقلبهما ، وسلخ النهار من الليل ، ومرور الجبال مر السحاب .

وقد دفع ذلك كله بالمسلمين إلى قياس محيط الأرض على زمن الخليفة المأمون قياسا بالغ الدقة إيمانا منهم بكروية الأرض ، وبدورانها حول محورها أمام الشمس .

كذلك قام البيرونى بتقسيم الكرة الأرضية إلى خطوط الطول والعرض وذلك فى كتابه المعنون «**تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن**» الذى تمت كتابته فى سنة ٤١٦هـ (فى حدود ١٠٤٠م) .

وكان مصدر ذلك كله تلك الإشراقات النورانية التى جاءت فى

كتاب الله وفى سنة رسوله ﷺ وكلاهما يشهد لهذا النبى الخاتم والرسول الخاتم بالنبوة وبالرسالة ، وإلا فمن أين له ﷺ هذا العلم المحكم الدقيق ، فضلا عن الدين الكامل التام لو لم يكن موصولا بالوحى ، ومعلما من قبل خالق السموات والأرض ، فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ، ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

٣ «.. ولا يعلم متى يأتى المطر أحد إلا الله...»

هذا النص المعجز من كلام رسول الله ﷺ جاء ضمن حديث عبد الله بن عمر (رضى الله تبارك وتعالى عنهما) الذى يروى فيه قول رسول الله ﷺ :

«مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما فى غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتى المطر أحد إلا الله، ولا تدرى نفس بأى أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله» .

(صحيح البخارى : حديث رقم ٤٦٩٧)

● وجاء الحديث فى صحيح الإمام البخارى أيضا (كتاب التوحيد - رقم ٦٨٣١) بسنده بالنص التالى :

حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَد حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بلال حَدَّثَنِى عَبْدُ اللَّهِ بْن دينَارٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا) عَنْ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : **«مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُهَا إِلا اللَّهُ: يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلا اللَّهُ، وَلا يَعْلَمُ مَا فِى غَدٍ إِلا اللَّهُ، وَلا يَعْلَمُ مَتَى يَأتِى الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلا اللَّهُ، وَلا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلا اللَّهُ، وَلا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلا اللَّهُ»** .

● وجاء الحديث أيضا فى مسند الإمام أحمد (حديث رقم ٣٤٧٧) بسنده :

حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ شُعْبَةَ حَدَّثَنِى عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ سَلَمَةَ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّه : «**أوتِيَ نَبِيُّكُمْ مَفَاتِيحَ كُلِّ شَيْءٍ غَيْرَ خَمْسٍ : إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَيَعْلَمُ مَا فِى الأَرْحَامِ، وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**» .

● وجاء الحديث (تحت رقم ٤٥٣٦) بسند آخر قال :

حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَبْدالله بْنِ دِينَار عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لايَعْلَمُهَا إلا اللهُ إنَّ الله عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِى الأَرْحَام ، ومَاتَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدا ، وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْض تَمُوتُ ، إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِير» .

● كذلك أخرج البخارى فى صحيحه (كتاب تفسير القرآن حديث رقم ٤٣٢٨) بسنده ما نصه :

حَدَّثَنِى إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ حَدَّثَنَا مَعْنٌ قَالَ حَدَّثَنِى مَالِكٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ : «**مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُهَا إِلا اللَّهُ: لا يَعْلَمُ مَا فِى غَدٍ إِلا اللَّهُ، وَلا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلا اللَّهُ، وَلا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِى الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلا اللَّهُ، وَلا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَلا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلا اللَّهُ**» .

التعليق على الحديث:

هذه القضايا الخمس من قضايا الغيب تحتاج إلى مجلدات للتعليق على حقيقة غيبتها غيبة مطلقة لا يعلمها إلا الله (سبحانه وتعالى) ، ولذلك فسوف أقصر حديثى هنا على القضية الثالثة : « . . **ولا يعلم متى يأتى المطر أحد إلا الله . .** » .

وذلك لأن المطر من الرزق ، والرزق لا يهبه إلا الله ، وقد يكون - أحيانا - من صور العذاب ، ولا يُنزل العذاب إلا الله ، ولأن نزول المطر عملية معقدة للغاية ، يدخل فى تحقيقها من العوامل ما لا يمكن لمخلوق أن يتحكم فيه ، ويتم بواسطة العديد من التفاعلات الطبيعية والكيميائية غير المعروفة بالكامل من بينها تصريف الرياح ، وتبخير الماء من الأوساط المائية ، وتجميع بخار الماء المنطلق من جميع الأنشطة الحياتية ، ونقله بواسطة الرياح التى تثير السحاب ، وتؤلف بينه وتبسطه فى السماء ، أو تركمه إلى أعلى نطاق الرجع من الغلاف الغازى ، وتستمر فى تلقيحه بمزيد من بخار الماء الذى يثريه ، وبهباءات الغبار التى تعمل كنوى للتكثف فيه فتعمل على نمو قطيرات الماء حتى تصل إلى الحجم المناسب لهطول المطر أو البرد أو الثلج ، كل ذلك والسحاب فى حركة دائبة فلا يعلم أين يُنزل مطره ، ولا كم المطر النازل ، ولا متى ينزل هذا المطر إلا الله (سبحانه وتعالى) .

ومن العوامل المتحكمة فى هذه العملية المعقدة ، كم ونوع الشحنات الكهربية فى السحابة الواحدة ، وفى السحب المتصادمة ، وأثر الرياح الشمسية على أجواء الأرض ، وغير ذلك من العوامل المعروفة وغير المعروفة لنا . .!

أضف إلى ذلك أن السحب لا تحمل فى أى وقت من الأوقات أكثر من ٢٪ من بخار الماء الموجود فى الغلاف الغازى للأرض ، والمقدر بحوالى (١٥٠٠٠) كيلو مترًا مكعبًا ، ويوجد الماء فيها على هيئة قطيرات متناهية الضآلة فى الحجم لاتكاد تتعدى الواحد من ألف من المليمتر فى أطوال أقطارها ، وتلتصق هذه القطيرات الدقيقة بجزيئات الهواء للزوجتها العالية ، ولذلك فهى لا تسقط مطرا إلا إذا تم تلقيحها بمزيد من بخار الماء أو تلقيح السحاب بهباءات الغبار التى تثيرها الرياح من فوق سطح الأرض وبغير ذلك من نوى التكثف فتعين على إنزال الماء منها بإذن الله ، وقد يتم ذلك بامتزاج السحب (أى التأليف بينها) مع اختلافها فى درجات الحرارة ، والرطوبة ، والشحنات الكهربية وغيرها من الصفات .

ومن ذلك يتضح أن إنزال المطر هو فى حقيقته سر من أسرار الكون لا يعلمه ولا يرتبه إلا الله (تعالى) ، وإن جاهد العلماء جهادا مضنيا فى محاولة فهم كيفية تكوُّن ونزول المطر من السحب المختلفة المحملة ببخار الماء وقطيراته إلا أنها عملية خارجة تماما عن طاقة القدرة الإنسانية مهما تطورت معارف الإنسان ، وارتقت تقنياته .

ويؤكد ذلك أن كل محاولات استمطار السحاب برشه بعدد من المركبات الكيميائية التى لها قابلية شديدة للماء مع نجاحها إلا أن القائمين بها بقوا عاجزين كل العجز عن التحكم فى أماكن

إمطارها تأكيدا لهذه الحقيقة التى عبر عنها رسول الله ﷺ بقوله الشريف : «.. **ولا يعلم متى يأتى المطر أحد إلا الله..**» .

علما بأن التنبؤات الجوية بنزول المطر لا تتم إلا قبلها بساعات قليلة ، ولا تصدق فى كثير من الأحيان .

فسبحان الذى علم خاتم أنبيائه ورسله هذا العلم اللدنى الصحيح وصلى الله وسلم وبارك على النبى الخاتم الذى تلقاه فوعاه ، وصاغه لنا بهذه الدقة العلمية المبهرة ليبقى أبد الدهر شاهدا له بالنبوة وبالرسالة فى زمن الفتن الذى نعيشه .

٤ «كانت الكعبة خشعة على الماء، فدحيت منها الأرض»

يروى عن رسول الله ﷺ قوله الشريف : «كانت الكعبة خشعة على الماء فدحيت منها الأرض» .

«والخشعة» أكمة لاطئة بالأرض ، والجمع «خُشَعٌ» . (النهاية فى غريب الحديث والأثر الجزء الثانى ص٣٤ ، ٣٥) .

التعليق على الحديث:

هذا الحديث الشريف الذى استغربه العلماء فى القديم والحديث يحوى حقيقة علمية لم يدركها الإنسان إلا فى منتصف الستينيات من القرن العشرين ، فبعد مجاهدة طويلة استغرقت جهود آلاف من العلماء ، وقرون طويلة من الدراسة ثبت للإنسان أن أرضنا الابتدائية غمرت بالماء غمرا كاملا فى بدء خلقها حتى لم يبق ظاهرًا منها شىء من اليابسة .

ثم شاءت إرادة الله تعالى أن يفجر قاع هذا المحيط الغامر بثورة بركانية عنيفة ظلت تلقى بالحمم التى تراكمت فوق بعضها البعض مكونة سلسلة جبلية فى وسط هذا المحيط الغامر وظلت هذه السلسلة الجبلية فى الارتفاع حتى برزت أعلى قمة فيها فوق

سطح الماء مكونة أول جزء من اليابسة ، على هيئة جزيرة بركانية تشبه العديد من الجزر البركانية المنتشرة فى محيطات اليوم من مثل جزر اليابان والفلبين وإندونيسيا وهاواى ، ولا تزال هذه الجزر البركانية تتكون على هيئة قمم السلاسل الجبلية المحيطية (حواف أواسط المحيطات) فى أيامنا هذه .

وباستمرار النشاط البركانى نمت هذه الجزيرة البركانية الأولية بالتدريج بواسطة عملية الدحو (أى المد والبسط والارتقاء والإضافة والنمو بواسطة الثورات البركانية المتلاحقة) حتى تكونت القارة الأم والتى عرفت باسم قارة بانجيا Pangaea أو القارة الأم .

ثم شاءت إرادة الله (تعالى) أن يمزق هذه القارة الأم بواسطة شبكة من الصدوع والخسوف الأرضية فتقطعت إلى السبع قارات المعروفة لنا اليوم والتى ظلت تتباعد عن بعضها البعض حتى وصلت إلى أوضاعها الحالية . وتسمى هذه العملية باسم «دورة المحيط واليابسة» والتى فيها يتحول جزء من قاع المحيط إلى يابسة بواسطة الثورات البركانية المتكررة ، كما تنشق اليابسة بواسطة الصدوع والخسوف الأرضية إلى كتلتين متوازيتين يفصلهما بحر طولى من مثل البحر الأحمر يظل يتسع باستمرار حتى يتحول إلى محيط .

وقول رسول الله ﷺ من قبل ألف وأربعمائة سنة بهذا الحديث المعجز : «**كانت الكعبة خشعة على الماء فدحيت منها الأرض**» ، يعتبر سبقا علميا معجزا يشهد له ﷺ بأنه كان موصولا بالوحى ومعلما من قبل خالق السموات والأرض لأنه لم

يكن لأحد من الخلق فى زمانه ولا لقرون متطاولة من بعده إدراك لشىء من هذه الحقيقة حتى منتصف الستينيات من القرن العشرين .

ويزيد الحديث فوق العلم الكسبى حقيقة علمية أخرى مؤداها أن اليابسة تحت الكعبة المشرفة تعتبر أقدم يابسة على وجه الأرض ، كما تعتبر أقدم صخور الأرض على الإطلاق ، وهو ما لم يتمكن العلم الكسبى من إثباته بعد ، وعلى المسلمين أن يحققوا هذه القضية بتحديد العمر المطلق للصخور القائمة تحت الكعبة المشرفة بواسطة العناصر المشعة الموجودة فيها - إن وجدت - حتى يمكن تقديم هذه الحقيقة العلمية للناس كافة من المسلمين وغير المسلمين ، مما يعتبر وثيقة دامغة فى عصر العلم والتقنية الذى نعيشه ، وحجة بالغة على الناس كافة وشهادة مؤكدة بنبوة هذا النبى الخاتم والرسول الخاتم ﷺ ، وبكرامة هذه البقعة الطاهرة التى اختارها الله (تعالى) بعلمه المحيط ليبنى فيها أول بيت وضع للناس فى الأرض ، وليجعله الله (تعالى) قبلة للمؤمنين ، ومحجاً ومعتمرا لهم ، وليضاعف من بركاته فيجعل الحسنة فيه بمائة ألف ضعف ، وليحرمه ويحرم أرضه يوم خلق السموات والأرض .

٥ « إن الحرم حرم مَنَاءٌ من السموات السبع والأرضين السبع »

روى مجاهد عن رسول الله ﷺ قوله : «إن الحرم حرم مناء من السموات السبع والأرضين السبع» . (أخبار مكة عن مجاهد شعب الإيمان للبيهقى) .

التعليق على الحديث:

لفظة مناء معناها قصده وفى حذاه ، و«المنا» مقصور الذى يوزن به ، والتثنية «منوان» والجمع «أمناء» ، يقال دارى «منا» دار فلان أى فى مقابلتها .

● ومعنى هذا الحديث الشريف أن الكعبة المشرفة هى مركز الكون ، لأن القرآن الكريم يقابل دوما بين الأرض والسموات ، على ضآلة حجم الأرض إذا قورنت بضخامة السماء ، وهذه المقابلة لايمكن أن تكون إلا إذا كان للأرض موقع خاص فى مركز الكون .

● ويؤكد هذا الاستنتاج ما ذكره القرآن الكريم فى عشرين آية مختلفة عن البينية التى تفصل السموات عن الأرض فقال عز من قائل : ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وما بَيْنَهُمَا ﴾ ولايمكن لهذه البينية أن تقوم إلا إذا كانت الأرض فى مركز الكون .

● دليل ثالث من القرآن الكريم نقرأه فى «سورة الرحمن» حيث

يقول ربنا تبارك وتعالى : ﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ (٣٣) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾ . (الرحمن : ٣٣ ، ٣٤) .

وقطر أى شكل هندسى هو الخط الواصل بين طرفيه مرورا بمركزه ، ولايمكن أن تكون أقطار السموات هى أقطار الأرض إلا إذا كانت الأرض فى مركز هذه السموات .

مما سبق يتضح جانب من جوانب الإعجاز العلمى فى حديث رسول الله ﷺ الذى نحن بصدده والذى يقول فيه : «**إن الحرم حرم مناء من السموات السبع والأرضين السبع**» .

والأرضون السبع كلها فى أرضنا يغلف الخارج منها الداخل ، والسموات السبع كلها محيطة بنا فى تطابق واضح حول الأرض ، ويغلف الخارج منها الداخل .

والكعبة المشرفة فى وسط الأرض الأولى «أى اليابسة» ومن دونها ستة أرضين ، وهى بذلك مناء من السموات السبع والأرضين السبع .

وهذه حقائق لايمكن لعلم الإنسان أن يصل إليها لأن أقصى ما يمكن أن يصل إليه علم الإنسان هو شريحة صغيرة جدا من السماء الدنيا المحيطة بنا والتى زينها الله تعالى بالمصابيح من النجوم .

وحتى هذه الشريحة فى تمدد مستمر بحيث إن الإنسان كلما طور أجهزته فى محاولة للوصول إلى أطرافها وجد أنها قد تجاوزته ، وذلك لأن السماء فى تمدد مستمر ، وسرعة تمدد الكون تزيد على إمكانيات وتقنيات الإنسان مهما تطورت ، فلا يصل إلى ذلك أبدا . .! ومن هنا

كان تحدى القرآن الكريم لكل من الإنس والجن أنهم لن يستطيعوا الخروج من أقطار السموات والأرض إلا بسلطان من الله (تعالى) .

ولولا أن القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ قد أعلمتنا أن هناك سبع سموات متطابقة ، وأن هناك سبع أرضين مثلها متطابقة فى مركز هذه السموات السبع ، وأن الكعبة المشرفة مناءً بين السموات السبع والأرضين السبع ، ما كان أمام الإنسان من وسيلة لإدراك ذلك أبدا ، على الرغم من أن دراسات التركيب الداخلى للأرض قد أثبتت وجود سبعة نطق أرضية متمايزة يغلف الخارج منها الداخل ، فلابد أن تكون السماوات السبع متطابقة كذلك يغلف الخارج منها الداخل ، خاصة وأن الدراسات الفلكية الحديثة قد أثبتت بالعديد من الأدلة الرياضية أن كوننا كون منحنٍ ، وهذه الملاحظة وحدها كافية لإثبات تطابق كل من السمواتً السبع والأرضين السبع حول مركز واحد هو مركز أرضنا ، والذى تتوسط الكعبة المشرفة منها الأرض الأولى ، فتكون مناءًا من السموات السبع والأرضين السبع .

من هنا تتضح لمحة من لمحات الإعجاز العلمى فى قول المصطفى ﷺ : «**إن الحرم حرم مَنَاءٌ من السموات السبع والأرضين السبع**» ، وقوله أيضا ﷺ فى حديث آخر «**البيت المعمور منا مكة**» ، ووصفه إياه كما جاء فى تفسير القرطبى بأنه «**بيت فى السماء السابعة على حيال الكعبة تماما حتى لو خر لخر فوقها**» ، وهذا كلام لايمكن أن يصدر إلا عن نبى موصول بالوحى ، ومعلم من قبل خالق السموات والأرض ، فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وعلى من تبع هداه إلى يوم الدين .

٦ «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض...»

يروى عن رسول الله ﷺ قوله: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا فيها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مُضَر الذى بين جمادى وشعبان..».

● جاء فى صحيح البخارى (كتاب بدء الخلق حديث رقم ٢٩٥٨) بسنده ما نصه:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ ابْنِ أَبِى بَكْرَةَ عَنْ أَبِى بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحَجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِى بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ**».

● وورد الحديث أيضا فى (كتاب تفسير القرآن حديث رقم ٤٢٩٤) بسند آخر بالنص التالى:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ ابْنِ أَبِى بَكْرَةَ عَنْ أَبِى بَكْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«إنّ الزّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْم خَلَقَ اللّهُ السّموَاتِ وَالأرْضَ السّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً مِنْهَا أرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلاثٌ مُتَوالِيات ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الحَجّةِ وَالْمُحَرّمُ وَرَجَبُ مُضَرَ الّذِى بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ» .

● وجاء الحديث فى صحيح مسلم (كتاب القسامة والمحاربين حديث رقم ٣١٧٩) بالنص التالى :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِى شَيْبَةَ وَيَحْيَى بْنُ حَبِيب الْحَارِثِيُّ وَتَقَارَبَا فى اللَّفْظ قَالا : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ عَنْ ابْنِ أَبِى بَكْرَةَ عَنْ أَبِى بَكْرَةَ عَنْ النَّبِىِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : **«إنّ الزّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللّهُ السّمَاوَاتِ وَالأرْضَ السّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً مِنْهَا أرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ ذُو الْقِعْدَةِ وَذُو الحِجّةِ وَالْمُحَرّمُ وَرَجَبُ شَهْرُ مُضَرَ الّذِى بَيْنَ جُمَادَى وشَعْبَانَ ثُمّ قَالَ أىُّ شَهْرٍ هَذَا قُلْنَا اللّهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ، قَالَ فَسَكَتَ حَتىّ ظَنَنّا أنّهُ سَيُسَمّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ. قَالَ: ألَيسَ ذَا الحِجّةِ؟ قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: فَأىُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللّهُ وَرَسُوله أعْلَمُ. قَالَ: فَسكَتَ حَتّى ظَننّا أنّهُ سَيُسَمّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ. قَالَ: ألَيْسَ الْبَلْدَةَ؟ قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: فَأىُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللّهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ. قَالَ: فَسَكَتَ حَتّى ظَنَنّا أنّهُ سَيُسَمّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ. قَالَ: ألَيْس يَوْمَ النّحْرِ؟ قُلْنَا: بَلَى يا رَسُولَ اللّهِ. قَالَ: فَإنّ دِمَاءَكُمْ وَأمْوَالَكُمْ. قَالَ مُحَمّدٌ. وَأحْسِبُهُ قَالَ: وَأعْرَاضَكمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذَا فِى بَلَدِكُمْ هَذَا فِى شَهْرِكُمْ هَذَا وَسَتَلْقَوْنَ رَبّكُمْ فَيسْألُكُمْ عَنْ أعْمَالِكُمْ فَلا تَرْجِعُنّ بَعْدى كُفّاراً أوْ ضُلالا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ألا لِيُبَلِّغْ الشّاهِدُ الغَائِبَ فَلعلّ بَعْض مَنْ يُبَلّغُهُ يَكُونُ أوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ ثُمّ قَالَ: ألا هَلْ بَلّغْتُ»** .

قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ فِى رِوَايَتِهِ وَرَجَبُ مُضَرَ وَفِى رِوَايَةِ أَبِى بَكْرٍ فَلا تَرْجِعُوا بَعْدِى .

● والحديث رواه أيضا أبو داود فى سننه (كتاب المناسك حديث رقم ١٦٦٣) قال :

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِى بَكْرَةَ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ خَطَبَ فِى حَجَّتِهِ فَقَالَ : «**إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ ذُو الْقِعْدَةِ وَذُو الحَجَّةِ وَالْمحَرَّمُ وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِى بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَان**» .

وأضاف قائلاً : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ فَيَّاضٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِىُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ ابْنِ أَبِى بَكْرَةَ عَنْ أَبِى بكْرَةَ عَنْ النَّبِىِّ ﷺ بِمَعْنَاهُ .

قَال أَبُو دَاوُد : سَمَّاهُ ابْنُ عَوْنٍ فَقَالَ : عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى بَكْرَةَ عَنْ أَبِى بَكْرَةَ فِى هَذَا الْحَدِيثِ .

التعليق على الحديث:

تأكيد رسول الله ﷺ على أن السنة اثنا عشر شهرا فيه لمحة علمية معجزة لأن سنة أى كوكب من كواكب المجموعة الشمسية هى الفترة الزمنية التى يستغرقها لكى يتم دورة كاملة فى سبحه حول الشمس ، وطول هذه المدة يحدده متوسط طول نصف قطر المدار «أى متوسط بعد الكوكب عن الشمس» ، وسرعة سبح الجرم السماوى وهاتان الحقيقتان

ثابتتان منذ اللحظة الأولى لخلق السموات والأرض لأن أى تغيير فى إحديهما يتبعه اضطراب شديد فى نظام المجموعة الشمسية التى بقيت لعدة بلايين من السنين تجرى على وتيرة واحدة بنظامها الذى نراها به اليوم .

أما عن استدارة الزمان فهو وحى أوحاه الله (تعالى) إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ لأن العرب كانوا قد ابتدعوا خدعة النسىء ، بمعنى أن يجردوا شهرا من الأشهر الحرم عن حرمته كى يستحلوا القتال فيه وهو فيه محرم ، وبذلك ارتبكت شهورهم وتداخلت تداخلا شديدا ، فأوحى الله (تعالى) إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ بحقيقة هذه الشهور والتى تضبطها منازل كل من القمر والشمس كما تضبطها دورة القمر حول الأرض ، ومع الأرض حول الشمس .

واللفظ الذى استخدمه رسول الله ﷺ بقوله : «**إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض**» فيه إشارة ضمنية رقيقة إلى تكور الكون ، وتكور جميع الأجرام فيه لأن اللفظة «استدار» تحوى - بالإضافة إلى العودة والبدء - إشارة واضحة إلى استدارة وتكور الكون .

ويؤكد ذلك أن الزمان ليس جسما ماديا يستدير ، ولكنه فترة تمر ، فإذا استدار الزمان كان فى ذلك إشارة إلى استدارة الكون واستدارة جميع الأجرام والمدارات فيه .

وفى قول رسول الله ﷺ : «**كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض**» يؤكد على ثبات تلك الهيئة عبر تاريخ الكون الطويل والذى يقدر بعشرة بلايين من السنين على أقل تقدير ، وسيبقى إلى قيام الساعة إن شاء الله تعالى .

وورود هذه الحقائق العلمية العديدة فى الحديث الشريف الذى نحن بصدده ـ وهى لم تكن معروفة فى الجزيرة العربية كلها فى زمن الوحى ، ولا لقرون متطاولة من بعده ـ لايمكن أن يكون له من مصدر غير الله الخالق (سبحانه وتعالى) ، ومن هنا فهى شهادة على أهل عصرنا جميعا (عصر العلم والتقنية الذى نعيشه) من المسلمين وغير المسلمين بأن سيدنا محمد بن عبد الله (عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم) ، كان موصولا بالوحى ومعلما من قبل خالق السموات والأرض ، وأنه ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين فليس من بعده من نبى ولا من رسول ، وأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ، فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

٧ «إن رسول الله (ﷺ) كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها»

يروى عن أبى برزة الأسلمى قوله : «إن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها» .

● أخرج البخارى فى صحيحه (كتاب مواقيت الصلاة حديث رقم ٥٦٨ ، ٥٩٩ ، ٧٧١ ، ٥٤١ ، ٥٤٧) هذا الحديث بسنده فقال :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلام قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِىُّ قَالَ حَدَّثَنَا خَالدُ الحذَّاء عَنْ أَبِى الْمِنْهَالِ عَنْ أَبِى بَرْزَةَ «إنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ وَالْحَدِيث بَعْدَهَا» .

● والحديث رواه مسلم فى صحيحه (كتاب المساجد حديث رقم ١٠٢٦) بلفظه فقال :

حَدَّثَنَاه أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ عَمْرو الْكَلْبِىُّ عَنْ حَمَّاد بْن سَلَمَةَ عَنْ سَيَّارِ بْنِ سَلامَةَ أَبِى الْمِنْهَال قَالَ سَمِعْتُ أَبَا بَرْزَةَ الأَسْلَمِىَّ يَقُولُ : «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُؤَخِّرُ الْعِشَاءَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ وَيَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَهَا والحَدِيثَ بَعْدَهَا وَكَانَ يَقْرَأُ فِى صَلاةِ الْفَجْرِ مِنْ الْمِائَةِ إِلَى السِّتِّينَ وَكَانَ يَنْصَرِفُ حِينَ يَعْرِفُ بَعْضُنَا وَجْهَ بَعْضٍ» .

● **والحديث ذكره الترمذى فى سننه (كتاب الصلاة حديث رقم ١٥٣) قال :**

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيع حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ أَخبَرنَا عَوْفٌ قَالَ أَحْمَدُ وَحَدَّثَنَا عَبَّادُ بْنُ عَبَّاد (هُوَ الْمُهَلَّبِيُّ) وَإِسْمَاعِيلُ ابْنُ عُلَيَّةَ جَمِيعًا عَنْ عَوْفٍ عَنْ سَيَّارِ بْنِ سلامَةَ (هُوَ أَبُو الْمِنْهَالِ الرِّيَاحِيُّ) عَنْ أَبِى بَرْزَةَ قَالَ : «**كَانَ النَّبِىُّ ﷺ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا**».

وأضاف قائلاً : فِى الْبَاب عَنْ عَائِشَةَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُود وَأَنَس قَالَ أَبُو عِيسَى : حَدِيثُ أَبِى بَرْزَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَقَدْ كَرِهَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ النَّوْمَ قَبْل صلاةِ الْعِشَاء والْحديث بَعْدَهَا وَرَخَّصَ فِى ذَلِكَ بَعْضُهُمْ وقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارك : أَكْثَرُ الأَحَاديثِ عَلَي الْكَرَاهِيَةِ وَرخَّصَ بَعْضُهُمْ فِى النَّوْم قَبْلَ صَلاةِ الْعِشَاءِ فِى رَمَضَانَ وَسَيَّارُ بْنُ سلامَةَ هُوَ أَبُو الْمِنْهَالِ الرِّيَاحِيُّ .

● **والحديث أورده أيضا النسائى فى سننه (كتاب المواقيت حديث رقم ٥٢٢) قال :**

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّار قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى قَالَ : حَدَّثَنَا عَوْفٌ قَالَ : حَدَّثَنِى سَيَّارُ بْنُ سَلامَةَ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِى بَرْزَةَ فَسَأَلَهُ أَبِى كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يُصَلِّى الْمَكْتُوبَةَ قَالَ : **كَانَ يُصَلِّى الْهَجِيرَ الَّتِى تَدْعُونَهَا الأُولَى حِينَ تَدْحَضُ الشَّمْسُ وَكَان يُصَلِّى الْعَصْرَ حِينَ يَرْجِعُ أَحَدُنَا إِلَى رَحْلِهِ فِى أَقْصَى الْمَدِينَةِ وَالشَّمْسُ حَيَّةٌ وَنَسِيتُ مَا قَالَ فِى الْمَغْرِب وَكَانَ يَسْتَحِبُّ أَنْ يُؤَخِّرَ الْعِشَاء الَّتِى تَدْعُونَهَا الْعَتَمَةَ**

وَكَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَهَا وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا وَكَانَ يَنْفَتِلُ مِنْ صَلاةِ الْغَدَاةِ حِينَ يَعْرِفُ الرَّجُلُ جَلِيسَهُ وَكَانَ يَقْرأُ بِالسِّتِّينَ إِلَى الْمِائَةِ .

● وجاء فى سنن أبى داود (كتاب الأدب حديث رقم ٤٢٠٩) ما نصه :

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ عَوْف قَالَ : حَدَّثَنِى أَبُو الْمِنْهَالِ عَنْ أَبِى بَرْزَةَ قَالَ : **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَنْهى عَنْ النَّوْمِ قَبْلَهَا وَالْحَدِيثِ بَعْدَهَا .**

● وذكر ابن ماجه فى سننه (كتاب الصلاة حديث رقم ٦٩٣ ما نصه) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيد وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَعَبْدُ الْوَهَّابِ قَالُوا حَدَّثَنَا عَوْفٌ عَنْ أَبِى الْمِنْهَالِ سَيَّارِ بْن سَلامَةَ عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِىِّ قَالَ : **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَحِبُّ أَنْ يُؤخِّرَ الْعِشَاءَ وَكَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَهَا والْحَدِيثَ بَعْدَهَا .**

● وكذلك أورد الإمام أحمد فى مسنده (حديث رقم ١٨٩٤٥) ما نصه :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَبْدِ الْمَجِيدِ حَدَّثَنَا خَالِدٌ عَنْ أَبِى الْمِنْهَال عَنْ أَبِي بَرْزَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ **«كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ وَلا يُحِبُّ الْحَدِيثَ بَعْدَهَا» .**

● وجاء فى سنن الدارمى (كتاب الصلاة حديث رقم ١٣٩٣) ما نصه :

أَخْبَرنا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ الْحَوْضِىُّ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سَيَّارٍ أَبِى

الْمِنْهَالِ الرِّيَاحِيِّ عَنْ أَبِي بَرْزَةَ قَالَ : **«كَانَ النَّبِيُّ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا»** .

التعليق على الحديث:

جاء الحديث كذلك فى كل من صحيح ابن حبان ، وصحيح ابن خزيمة ، وفى مسند كل من أبى يعلى ، والطيالسى .

ومفهوم الحديث أن أبرك ساعات النوم هى ساعات الليل الأولى عقب صلاة العشاء مباشرة ، ولذلك كان ﷺ يكره السهر بعد العشاء إلا لضرورة ، وينصح بأن داود (عليه السلام) كان ينام نصف الليل ، ثم يقوم ثلثه ، ثم ينام سدسه .

وقد أثبتت الدراسات التجريبية صدق ما قاله رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق ، وذلك للأسباب التالية :

١ ـ أن النطق المختلفة التى خلقها الله (تعالى) لحماية الحياة على الأرض ووضعها فى غلافها الغازى «ما بين السموات والأرض» تنكمش كلها بالتدريج من بدء غياب الشمس حتى تصل إلى أقصى درجات انكماشها عند منتصف الليل ، ثم تبدأ فى التمدد بالتدريج كذلك حتى تصل إلى أقصى سمك لها عند منتصف النهار حين تتعامد أشعة الشمس على المنطقة المدروسة ، وتشمل نطق الحماية تلك كلا من نطاق الأوزون ، النطاق المتأين ، أحزمة الإشعاع ، النطاق المغنط ، والنطاق الخارجى للأرض ، وعند انكماش تلك النطق تصبح الأرض أكثر عرضة للمخاطر الكونية المتعددة وما أكثرها!

٢ ـ أثبتت الدراسات فى مجال أبحاث النوم حاجة الإنسان الماسة إلى حد أدنى من ساعات النوم فى أول الليل ، حتى يعينه ذلك على التوافق مع الساعة الحياتية التى وضعها الله (تعالى) فى داخل جسد كل فرد منا ، وهذا القدر من النوم المبكر ينظم حياة الفرد العملية ، والدراسية ، والتعبدية ، وينظم درجة حرارة الجسم ، ويعيد تنشيط الذاكرة ، ويستكمل أى نقص يمكن أن يمس جهاز المناعة .

ويتحكم فى درجة الوعى والاستيقاظ فى جسم الإنسان عدد من الغدد الصغيرة من أهمها غدة فى وسط الدماغ ، لايزيد حجمها على حجم حبة الذرة البيضاء ، وتعرف باسم الغدة الصنوبرية (Pineal Gland) وهى تفرز هرمونا يسمى «الميلاتونين» وهو من مضادات الأكسدة ولذلك فإنه يحافظ على الخلايا العصبية ويساعد جهاز المناعة فى الجسم فى حربه ضد الفيروسات ، والجراثيم المختلفة ، ويُحسِّن القدرة على النوم بمقاومته للأرق ، ويقلل من الإصابة بأمراض القلب وأمراض إعتام عدسة العين والأورام الخبيثة «عافانا الله وعافاكم منها» ، ويؤخر مظاهر الشيخوخة المبكرة بصفة عامة .

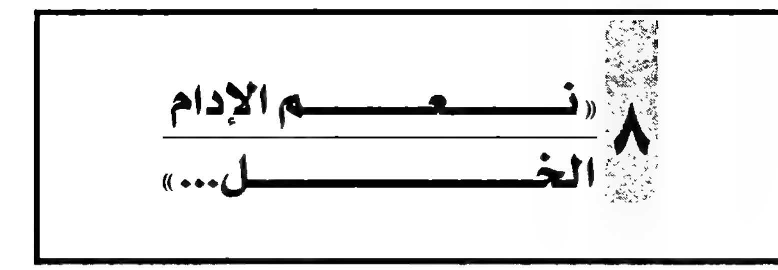
كذلك هناك غدة صغيرة أخرى تعرف باسم «الوطاء» أو «ما تحت السرير البصرى» (Hypothalamus) توجد فى جدار البطن الثالث لقناة السائل المخى الشوكى ، وتتحكم كذلك فى درجة الوعى والاستيقاظ بتأثيرها على كل من الغدة الصنوبرية وإفرازها لهرمون «الميلاتونين» ، والغدة النخامية وإفرازها لهرمون «الأدرينالين» .

وتعمل غدة الوطاء عمل الساعة المنظمة للأنشطة الحيوية فى

جسم الإنسان لتتوافق مع تبادل الليل والنهار ، وتحقق التوافق فى وظائف الأعضاء بين أجهزة الجسم كله .

وبالإضافة إلى ذلك فإن خلايا «التصالب البصرى» الواقعة فى مقابلة تقاطع الألياف العصبية بجوار الغدة النخامية لها خاصية استشعار الضوء الذى يسقط على قاع شبكية العين أثناء النهار ، فحينما تقع أشعة الشمس على قاع شبكية العين فإن التصالب البصرى يرسل رسالة إلى الساعة الحياتية بالجسم فتتوقف عن إرسال الأوامر إلى الغدة الصنوبرية لإفراز هرمون «الميلاتونين» ، وبالعكس فإنه عند قدوم الليل فإنها تبعث برسالة خاصة للغدة الصنوبرية لتعاود إفراز هرمون «الميلاتونين» .

ولما كانت درجة إظلام الليل تزداد تدريجيا من لحظة الغروب حتى تصل أقصى درجاتها عند منتصف الليل ، ثم تبدأ فى التناقص تدريجيا إلى طلوع الفجر الصادق اتضحت الحكمة البالغة من كراهة رسول الله ﷺ النوم قبل أداء صلاة العشاء حرصا على عدم ضياعها ، وكراهة التحدث بعدها حرصا على الاستفادة بأفضل ساعات النوم فى أول الليل ، ويعجب الإنسان من الذى علم رسول الله ﷺ ذلك من قبل ألف وأربعمائة عام لو لم يكن موصولا بالوحى ومعلما من قبل خالق السموات والأرض ، فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .



٨ «نعم الإدام الخل...»

● يروى عن أم المؤمنين السيدة عائشة (رضى الله عنها) أن رسول الله ﷺ قال : **«نعم الأُدُمُ أو الإدَامُ الخل»** .

● روى الإمام مسلم فى صحيحه (كتاب الأشربة حديث رقم ٥٣٥٠ ـ ٥٣٥٥) قال :

حَدَّثَنِى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِىُّ أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ حَسَّانَ أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بلال عَنْ هِشَام بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ السيدة عَائِشَةَ (رضى الله عنها) أنَّ النَّبىَّ ﷺ قَالَ : **«نِعْمَ الأُدُمُ أوْ الإِدَامُ الخَلُّ»** .

وأضاف قائلاً : وحَدَّثَنَاه مُوسَى ابْنُ قُرَيْشِ بْنِ نَافع التَّمِيمِىُّ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ صَالح الْوُحَاظِىُّ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلالٍ بِهَذَا الإِسْنَادِ وَقَالَ نِعْمَ الأُدُمُ وَلَمْ يَشُكَّ .

● وروى الإمام الترمذى فى سننه (كتاب الأطعمة حديث رقم ١٩٠١ ، ١٩٠٢) ما نصه :

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ حَدَّثَنَا مُبَارَكُ بْنُ سَعِيدٍ هُوَ أخُو سُفْيَانَ

ابْنِ سَعِيدِ الثَّوْرِيِّ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ : «**نِعْمَ الإِدَامُ الْخَلُّ**» . قَالَ وَفِي الْبَابِ عَنْ عَائِشَةَ وَأُمِّ هَانِئٍ .

● وأورد الإمام ابن ماجه في سننه (كتاب الأطعمة حديث رقم ١١٠٢ ، ٣٣١٦ ، ٣٣١٨) ما نصه :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلالٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**نِعْمَ الإِدَامُ الْخَلُّ**» .

● حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ عُثْمَانَ الدِّمَشْقِيُّ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا عَنْبَسَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَاذَانَ أَنَّهُ حَدَّثَهُ قَالَ حَدَّثَتْنِي أُمُّ سَعْدٍ قَالَتْ : دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَائِشَةَ وَأَنَا عِنْدَهَا فَقَالَ : **هَلْ مِنْ غَدَاءٍ**؟ قَالَتْ : عِنْدَنَا خُبْزٌ وَتَمْرٌ وَخَلٌّ . فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**نِعْمَ الإِدَامُ الْخَلُّ اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي الْخَلِّ فَإِنَّهُ كَانَ إِدَامَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي وَلَمْ يَفْتَقِرْ بَيْتٌ فِيهِ خَلٌّ**» . أخرجه ابن ماجه في سننه (كتاب الأطعمة حديث رقم ٣٣١٨) .

● وفي رواية لأم سعد أن رسول الله ﷺ دخل على أم المؤمنين السيدة عائشة (رضى الله عنها) وهى عندها ، فقال : «**هل من غداء**؟» قالت : **عندنا خبز وتمر وخل** ، فقال رسول الله ﷺ : «**اللهم بارك في الخل، فإنه كان إدام الأنبياء قبلي، ولم يفتقر بيت فيه خل**» . (سنن ابن ماجة : حديث رقم ٣٣١٨)

● والحديث رواه الترمذى كذلك فى سننه (كتاب الأطعمة حديث رقم ١٧٦٥) قال :

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاَءِ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِى طَالِبٍ قَالَتْ : دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : **هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟** فَقُلْتُ : **لا إلا كِسَرٌ يَابِسَةٌ وَخَلٌ** ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **قَرِّبِيهِ فَمَا أَقْفَرَ بَيْتٌ مِنْ أُدْمٍ فِيهِ خَلٌ** . قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لا نَعْرِفُه مِنْ حَدِيث أُمِّ هَانِئٍ إلا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَأَبُو حَمْزَةَ الثُّمَالِيُّ اسْمُهُ ثَابِتُ بْنُ أَبِي صَفِيَّةَ وَأُمُّ هَانِئٍ مَاتَتْ بَعْدَ عَلِيٍّ ابْنِ أَبِى طَالِبٍ بِزَمَانٍ وَسَأَلْتُ مُحَمَّدًا عَنْ هَذَا الْحَدِيث قَالَ : لا أَعْرِفُ لِلشَّعْبِيِّ سَمَاعًا مِنْ أُمِّ هَانِئٍ . فَقُلْتُ : أَبُو حَمْزَةَ كَيْف هُوَ عِنْدَكَ؟ فَقَالَ : أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ تَكَلَّمَ فِيهِ وَهُوَ عِنْدِى مُقَارِبُ الْحَدِيثِ .

● والحديث رواه الإمام أحمد فى مسنده (حديث رقم ١٤٧٥٥) قال :

حَدَّثَنَا بَهْزٌ حَدَّثَنَا بْنُ سَعِيد حَدَّثَنَا طَلْحَةُ بْنُ نَافِعٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِه إِلَى مَنْزِله فَلَمَّا انْتَهَى قَالَ : «**مَا مِنْ غَدَاءٍ أَوْ عَشَاءٍ**» . شَكَّ طَلْحَةُ قَالَ فَأَخْرَجُوا فَلْقًا مِنْ خُبْزٍ قَالَ : «**مَا مِنْ أُدْمٍ**»؟ قَالُوا : **لا إلا شَيْءٌ مِنْ خَلٍّ**. «**قَالَ: أَدْنِيه فَإِنَّ الْخَلَّ نِعْمَ الأُدْمُ هُوَ**» . قَالَ جَابِرٌ : مَازِلْتُ أُحِبُّ الْخَلَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَقَالَ طَلْحَةُ : مَازِلْتُ أُحِبُّ الْخَلَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُ مِنْ جَابِرٍ .

التعليق على الحديث:

قد أثبتت الدراسات العلمية أن الخل مضاد حيوى جيد يمنع تسوس الأسنان، ويطهر الجهاز الهضمى، ويقضى على ما به من جراثيم وطفيليات، وينشط عمليات الهضم والأيض فى الجسم، ويعين على محاربة السمنة المفرطة، وفى علاج كل من أمراض الربو والحساسية، وحالات الإسهال الحاد لاحتوائه على عدد من المواد القابضة، كما يعين فى علاج آلام المفاصل، وتلطيف آثار لدغات النحل ولدغات غيره من الحشرات والحيوانات البحرية .

ويعجب القارئ لهذه الأحاديث النبوية الشريفة من وصف رسول الله ﷺ للخل بأنه «إدام»، و«الإدام» هو ما «يؤتدم» به أى ما يتغذى به وما يطيب به الطعام، يقال : فلان «أدم» الخبز باللحم أى اتخذه «إداما» أى طعاما، ثم يأتى العلم التجريبى ليثبت لنا أن الخل هو محلول مخفف من حمض الخليك (فى حدود ٤ ـ ٥٪) .

[(Acetic (Ethanoic) Acid (CH3. COOH)]

وهذا الحمض هو من الأحماض الدهنية البسيطة المكونة للزيوت والدهون، التى هى من المكونات الأساسية للطعام لقيمتها الحرارية العالية، وإن كان الإفراط فى تناول الدهون قد يكون ضارا بالصحة، ومن هنا فإن تركيز حمض الخليك فى الخل بنسب تتراوح بين ٤٪ و٥٪، يوحى بأنه غذاء مناسب لصحة الإنسان إذ يعطيه الحد الأدنى من الدهون النباتية التى يحتاجها جسده، دون تعريضه لمخاطر التركيز العالى للدهون الحيوانية والتى قد يؤدى تجمعها فى جسم الإنسان إلى العديد من الأمراض .

وتناول الدهون باعتدال يعتبر من ضرورات الطعام الذى يتناوله

الإنسان لاحتياج جسمه إليها ، وذلك لما لها من طاقة حرارية عالية ، وقدرة على بناء الخلايا بإذن الله ، ودورها فى حمل الفيتامينات القابلة للذوبان فيها إلى جميع أجزاء الجسم ، بالإضافة إلى حاجة الجسم إليها بصفة عامة وإلى تحسينها لمذاق الطعام بصفة خاصة .

والخل هو سائل قابض ينتج عن طريق أكسدة الكحولات أثناء عملية التخمر للحبوب مثل الشعير ، وللفواكه من مثل التفاح والعنب ، ولعسل الدبس الناتج من عصائر كل من الفواكه مثل العنب وقصب السكر .

وخل الشعير بنى اللون ، وبتقطيره ينتج الخل الأبيض ، ويستخدم الخل فى عمليات التخليل المختلفة ، وفى إعطاء الطعام نكهة خاصة .

ووصْف رسول الله ﷺ الخل بأنه «إدام» وبأنه «نعم الإدام» يعتبر سبقًا علميًا مبهرًا لأنه لم يكن لأحد من الخلق فى زمن الوحى ، ولا لقرون متطاولة من بعده إدراك لقيمة الخل الغذائية .

وهذه الومضات العلمية فى أحاديث رسول الله الخاتم ﷺ هى من أنصع الشهادات على صدق نبوته وعلى صلته بوحى السماء ، وصدق الله العظيم إذ يصفه بقوله «عز من قائل» :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ .(النجم : ٣ ـ ٥)

٩ «خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا...»

● والحديث أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه (كتاب الاستئذان حديث رقم ٦٢٢٧) بسنده قال :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ هَمَّام عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : **«خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ اذْهَبْ فَسَلِّمْ على أولَئِكَ النَّفَرِ مِن الملائِكَةِ جُلوسٌ فَاسْتَمِعْ ما يُحَيُّونَك فإنّها تَحِيَّتُكَ وتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ فقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ» فقَالُوا: السّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللّهِ، فَزادُوهُ وَرَحْمَةُ اللّهِ فكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنّةَ على صُورَةِ آدَمَ. فَلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتّى الآنَ»** .

● وفى صحيح مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها حديث رقم ٢٨٤١) جاء الحديث بالنص التالى :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِع حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاق أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّام ابْنِ مُنَبِّه قَالَ : هَذَا مَا حَدَّثَنَا بِه أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُول اللَّه ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : **«خَلَقَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ وَهُمْ نَفَرٌ مِنْ الْمَلائِكَةِ جُلُوسٌ فَاسْتَمِعْ مَا يُجِيبُونَكَ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ**

ذُرِّيَّتِكَ قَالَ فَذَهَبَ فَقَالَ السَّلامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا السَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ قَالَ فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ قَالَ فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ حَتَّى الآنَ» .

● وفى مسند الإمام أحمد (٣١٥/٢) جاء الحديث بالنص التالى :

حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ مُوسَى بْن أَبِي عُثْمَانَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : **«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ وفِى كِتَابِ أَبِى وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا فَلا أَدْرِى حَدَّثَنَا بِهِ أَمْ لا»** .

● وكذلك جاء الحديث فى كل من مسند أبى عوانة (١٨٨/١) ، وصحيفة همام ابن منبه (٤٣/٥٨) ، ومصنف عبدالرزاق ١٩٤٣٥/١٠/٣٨٤ .

والحديث به إشارة إلى ثلاث حقائق علمية مبهرة هى على التوالى :

١ ـ أن الله (تعالى) خلق آدم على صورته ، أى على صورة آدم (عليه السلام) .

٢ ـ أن طول آدم (عليه السلام) كان ستين ذراعا .

٣ ـ أن الخلق لم يزل ينقص فى الطول حتى الآن .

التعليق على الحديث:

كان انبهار الناس بفكرة «التطور العضوى» قد دفع بالكثيرين إلى محاولة ربط الإنسان بتلك السلسلة الطويلة من الخلق ، دون

دليل واضح ، على الرغم من نقص السجل الأحفورى والثغرات العديدة التى تتخلله ، وذلك استنادا إلى قدم سجل الحياة على الأرض (≃ ٣٨٠٠ مليون سنة) ، وإلى تدرج عمارتها بأنماط متعاقبة من الخلق التى ازدادت فى العدد وفى تعقيد البناء مع الزمن باستمرار ، وقد استخدمت هذه الملاحظة الصحيحة فى الوصول إلى عدد من الاستنتاجات الخاطئة التى تحاول نفى الخلق ، والقرآن الكريم يؤكد لنا على حقيقة أن «**الله خالق كل شىء**» .

ويأتى حديث رسول الله ﷺ مؤكدا حتمية الخلق ، ومؤيدا خلق الإنسان خلقا خاصا على الرغم من تضاؤل حجمه مع الزمن ، ويأتى العلم الكسبى مؤيدا ذلك بناء على الملاحظات التالية :

١ ـ إن لبنة بناء الخلية الحية تتمثل فى الجزىء البروتينى ، والعلم التجريبى يؤكد استحالة تكونه بمحض الصدفة نظرا لشدة تعقيد بنائه أولا ، ولأنه ثانيا لا يمكن تكونه إلا فى وسط مغلق ، وأنه مادة غير حية بذاته ولكنه ينشط فى داخل الخلية الحية ، وكذلك الحال بالنسبة إلى الأحماض الأمينية التى يتركب منها الجزىء البروتينى .

٢ ـ إن الخلية الحية بالغة التعقيد فى بنائها ، وفى قدرتها على أداء الوظائف المناطة بها مما ينفى إمكانية وجودها دون تخطيط مسبق حكيم ، وجسد الإنسان مبنى من مئات البلايين من الخلايا الحية التى تتنوع بتنوع وظائفها ، ويتجمع كل نوع منها فى أنسجة متخصصة ، وتتجمع الأنسجة المتخصصة فى أعضاء محددة والأعضاء فى أجهزة معينة تتعاون فى تناغم عجيب على خدمة الجسد الحى ، وفى تمكينه من القيام بمختلف أنشطته .

٣ ـ والخلية الحية فى جسم الإنسان لا يتعدى قطرها ٠,٠٣ من المليمتر، وهى تحمل بداخلها نواتها، والنواة تمثل عقل الخلية الحاكم بما تصدر من أوامر بالغة الدقة والإحكام، وكل نواة تحمل عددا محددا من الصبغيات «الكروموسومات» ويميز عدد الصبغيات كل نوع من أنواع المخلوقات.

فالإنسان ـ على سبيل المثال ـ تحمل كل نواة من نوى خلاياه ٤٦ صبغيا فى ثلاثة وعشرين زوجا ما عدا الخلايا التناسلية التى تحمل نصف هذا العدد حتى إذا ما اتحدت تكامل عدد الصبغيات فى البويضة المخصبة (النطفة الأمشاج) أما خلايا الدم فلا تحمل صبغيات على الإطلاق.

٤ ـ تشغل صبغيات الخلية الإنسانية الواحدة مساحة فى داخل النواة لاتزيد على واحد من المليون من المليمتر المكعب، ولكنها إذا فردت فإن طولها يقارب المترين، ولما كان جسم الإنسان يحوى فى المتوسط ألف مليون مليون خلية فإن طول الشفرة الوراثية فى جسد فرد واحد من البشر تزيد على المسافة بين الأرض والشمس وهى مقدرة بحوالى ١٥٠ مليون كيلو مترًا.

٥ ـ تحمل الشفرة الوراثية المحمولة على صبغيات خلية واحدة من خلايا جسم الإنسان ١٨,٦ بليون جزىء من القواعد النيتروجينية والسكر والفوسفات، موزعة بالتساوى بين هذه المركبات الثلاثة، ومرتبة فى ٣,١ بليون من النويدات الموزعة فى حوالى بليون شفيرة تكتب بها صفات الجسد كله، ولو تعرض هذا البناء فى ترتيب لبناته إلى أقل قدر من التغيير فإما أن يشوه أو أن ينهار بالكامل.

٦ ـ ومن المبهر فى هذه الشفرة الوراثية التى تحمل أسرار الخلية الحية أن الحمض النووى الذى تكتب به حروفها يتطابق تركيبه الكيميائى بين أى فردين من أفراد البشر بنسبة ٩٩,٩٪ مهما تباعدت أصولهما ، وعلى الرغم من ذلك يبقى لكل فرد من البلايين التى تحيا اليوم ، والتى عاشت وماتت ، والتى سوف تأتى من بعدنا إلى يوم الدين شفرة وراثية مميزة له تفوق فى الدقة شفرة إبهامه .

أما عن ضخامة جسم أبينا آدم (عليه السلام) فالسجل الأحفورى يشهد للكائنات بتضاؤل الأحجام مع الزمن ، وباستمرار إلى أن يرث الله (سبحانه وتعالى) الأرض ومن عليها ؛ وبقايا الزواحف العملاقة هى خير شاهد على ذلك .

وهنا تتضح هذه الإشراقات النورانية فى حديث رسول الله ﷺ ومنها القضاء على دعاوى التطور العضوى ، والتأكيد على الخلق بصفة عامة ، وعلى خلق الإنسان بصفة خاصة ، وعلى تضاؤل حجم الإنسان مع الزمن ، وهى من الحقائق التى بدأ العلم الكسبى فى الوصول إليها ، وهنا يبرز التساؤل من أين جاء رسول الله ﷺ بهذا العلم . لو لم يكن موحى به إليه من لدن رب العالمين؟ وهل يمكن أن يكون لهذا العلم من مصدر غير الله الخالق؟ فصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

١٠ لعل نزعه عرق

أخرج الإمام البخارى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، ولد لى غلام أسود . فقال : «هل لك من إبل؟ . قال : نعم . قال : «ما ألوانها؟» . قال : حمر . قال : «هل فيها من أورق؟» . قال : نعم . قال : «فأنّى ذلك؟» . قال : لعل نزعه عرق . قال : «فلعل ابنك هذا نزعه عرق» .

● والحديث أخرجه البخارى فى (كتاب الطلاق) بسنده قال :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ قَزَعَةَ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَعِيدِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِىَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وُلِدَ لى غُلاَمٌ أَسْوَدُ فَقَالَ : «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟» قَالَ : نَعَمْ قَالَ : «مَا أَلْوَانُهَا؟» قَالَ : حُمْرٌ . قَالَ : «هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟» قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : «فَأَنَّى ذَلِكَ؟» قَالَ : لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ . قال : «فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ عرق» .

● وأخرج الإمام البخارى فى كتاب الحدود هذا الحديث بسنده فقال :

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ حَدَّثَنِى مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَهُ أَعْرَابِىٌّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ امْرَأَتِى وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ فَقَالَ : هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : مَا أَلْوَانُهَا؟ قَالَ : حُمْرٌ . قَالَ : هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَنَّى كَانَ ذَلِكَ؟ قَالَ : أُرَاهُ عِرْقٌ نَزَعَهُ قَالَ : **فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ عِرْقٌ»** .

● وأخرجه فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة بسنده قال :

حَدَّثَنَا أَصْبَغُ بْنُ الْفَرَجِ حَدَّثَنِى ابْنُ وَهْبٍ عَنْ يُونُسَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِى سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : إِنَّ امْرَأَتِى وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ وَإِنِّى أَنْكَرْتُهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا أَلْوَانُهَا قَالَ : حُمْرٌ . قَالَ : هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟ قَالَ : إِنَّ فِيهَا لَوُرْقًا قَالَ فَأَنَّى تُرَى ذَلِكَ جَاءَهَا؟ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عِرْقٌ نَزَعَهَا . قَالَ : **وَلَعَلَّ هَذَا عِرْقٌ نَزَعَهُ»** وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُ فِى الانْتِفَاءِ مِنْهُ .

● والحديث أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه (كتاب اللعان) بسنده قال :

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِى شَيْبَةَ وَعَمْرٌو النَّاقِدُ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَاللَّفْظُ لِقُتَيْبَةَ قَالُوا حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ الزُّهْرِىِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ

بَنِى فَزَارَةَ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ فَقَالَ : إِنَّ امْرَأَتِى وَلَدَتْ غُلامًا أَسْوَدَ فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا أَلْوَانُهَا؟ قَالَ : حُمْرٌ . قَالَ : هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟ قَالَ : إِنَّ فِيهَا لَوُرْقًا قَالَ : فَأَنَّى أَتَاهَا ذَلِكَ؟ قَالَ عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ قَالَ : وَهَذَا عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ» وحَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ ابْنُ حُمَيْدٍ قَالَ ابنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا وَقَالَ الآخَرَانِ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، وحَدَّثَنِى ابْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِى فُدَيْكٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِى ذِئْبٍ جَمِيعًا عَنْ الزُّهْرِىِّ بِهَذَا الإِسْنَادِ نَحْوَ حَدِيثِ ابْنِ عُيَيْنَةَ غَيْرَ أَنَّ فِى حَدِيثِ مُعْمَرٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَدَتْ امْرَأَتِى غُلامًا أَسْوَدَ وَهُوَ حِينَئِذٍ يُعَرِّضُ بِأَنْ يَنْفِيَهُ وَزَادَ فِى آخِرِ الْحَدِيثِ وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُ فِى الانْتِفَاءِ مِنْهُ .

● وأخرج الإمام أبو داود فى سننه (كتاب الطلاق حديث رقم ١٩٢٧) بسنده قال :

حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِى خَلَفٍ سُفْيَانُ عَنْ الزُّهْرِىِّ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ مِنْ بَنِى فَزَارَةَ فَقَالَ : إِنَّ امْرَأَتِى جَاءَتْ بِوَلَدٍ أَسْوَدَ فَقَالَ : «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : مَا أَلْوَانُهَا ؟ . قَالَ : حُمْرٌ . قَالَ : فَهَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟ قَالَ : إِنَّ فِيهَا لَوُرْقًا قَالَ : فَأَنَّى تُرَاهُ؟ قَالَ عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ . قَالَ : وَهَذَا عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ» .

● وقال : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاق أَخبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ بِإِسْنَاده ومَعْنَاهُ وَهُوَ حِينَئذ يُعَرِّضُ بِأَنْ يَنْفِيَهُ .

● وأضاف قائلاً : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالح حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَن ابن شِهَابٍ عَنْ أَبِى سَلَمَةَ عَنْ أَبِى هُرَيْرَة أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلامًا أَسْوَدَ وَإِنِّى أُنْكِرُهُ فَذَكَر مَعْنَاهُ .

● والحديث أخرجه الإمام ابن ماجة فى سننه أيضا (كتاب النكاح) بسنده قال :

حدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِى شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاح قَالا حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِى فَزَارَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّه إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلامًا أَسْوَدَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «هَلْ لَكَ مِنْ إِبلٍ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا أَلْوَانُهَا؟ قَالَ : حُمْرٌ . قَالَ : هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟ قَالَ إِنَّ فِيهَا لَوُرْقًا قَالَ : فَأَنَّى أَتَاهَا ذَلِكَ؟ قَالَ : عَسَى عِرْقٌ نَزَعَهَا قَالَ : وَهَذَا لَعَلَّ عِرْقًا نَزَعَهُ» وَاللَّفْظُ لابْنِ الصَّبَّاح .

● والحديث أخرجه كذلك الإمام النسائى فى سننه (كتاب الطلاق) بسنده قال :

أَخْبَرَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ أَنْبَأَنَا سُفْيَانُ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلا مِنْ بَنِى فَزَارَةَ أَتَى رَسُولَ

اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : إِنَّ امْرَأَتِى وَلَدَتْ غُلاَمًا أَسْوَدَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «هَلْ لَكَ مِنْ إِبلٍ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا أَلْوَانُهَا؟ قَالَ : حُمْرٌ . قال : فَهَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ . قَالَ : إِنَّ فِيهَا لَوُرْقًا قَالَ : فَأَنَّى تَرَى أَتَى ذَلِكَ؟ قال : عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَهَذَا عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ» .

● وأخرج هذا الحديث أيضا الإمام أحمد فى مسنده بسنده قال :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الأَعْلَى عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِىِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلا مِنْ بَنِى فَزَارَةَ أَتَى النَّبِىَّ ﷺ فَقَالَ : يَا نَبِىَّ اللَّهِ إِنَّ امْرَأَتِى وَلَدَتْ غُلاَماً أَسْوَدَ وَكَأَنَّهُ يُعَرِّضُ أَنْ يَنْتَفِىَ مِنْهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَلَكَ إِبِلٌ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : مَا أَلْوَانُهَا؟ قَالَ : حُمْرٌ قَالَ : فِيهَا ذَوْدٌ أَوْرَقُ؟ قَالَ : نَعَمْ فِيهَا ذَوْدٌ أَوْرَقُ . قَالَ : وَمِمَّا ذَاكَ؟ قَالَ : لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَهَذَا لَعَلَّهُ يَكُونُ نَزَعَهُ عِرْقٌ» .

● وفى رواية أخرى قال : حَدَّثَنَا يَزِيدُ أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِى ذِئْبٍ عَنِ الزُّهْرِىِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ أَعْرَابِيّاً مِنْ بَنِى فَزَارَةَ صَاحَ بِالنَّبِىِّ ﷺ فَقَالَ : إِنَّ امْرَأَتِى وَلَدَتْ غُلاَمًا أَسْوَدَ فَذَكَرَ مَعْنَاهُ .

وقد ذكر الحديث كل من الإمام مسلم فى صحيحه وكل من الأئمة أبو داود ، وابن ماجه ، والترمذى ، والبيهقى ، والنسائى فى

سننه ، وكل من الأئمة أحمد وأبى يعلى والحميد فى مسنده ، وعبدالرزاق فى مصنفه والبغوى فى شرح السنة ، ومالك فى مُوَطَّئه .

التعليق على الحديث:

الحديث قاعدة فى علم الوراثة لم يسبق إليها أحد ، لأن العرق هنا يقصد به الأصل من النسب تشبيها بعرق الثمرة ، وكون الجنين يكتسب صفاته ميراثا عن أبويه اللذين يتقاسمان إعطاءه تلك الصفات بنسب متباينة حقيقة مشاهدة ، إلا أن امتداد هذا الميراث إلى أصوله القديمة لم يعرف إلا بعد فهم آلية هذا التوارث فى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى (١٨٦٥م - ١٨٦٩م) حين تمكن النمساوى مندل Mendel من وضع تصور مبدئى لقانون الوراثة من خلال عدد من الملاحظات والتجارب التى أجراها على «نبات البازلاء» استخلص منها أن عملية انتقال الصفات من جيل إلى آخر تتم عبر عدد من العوامل المتناهية فى الصغر عرفت فيما بعد باسم حاملات الوراثة أو المورثات أو الجينات (Genes) .

وبقيت المورثات إلى أوائل القرن العشرين مجرد رموز تستخدم فى تفسير عمليات التنوع فى الخلق حتى استطاع مورجان (Mor-gan) الذى عاش فى الفترة من ١٨٦٦م إلى ١٩٤٥م إثبات أن الصفات الوراثية فى ذبابة الفاكهة تحملها جسيمات خيطية متناهية فى الصغر توجد داخل نواة الخلية الحية ، وأن هذه الجسيمات لها قابلية عالية لاكتساب الصبغات والتلون بألوانها ، ولذا عرفت باسم «الصبغيات» أو «الكروموسومات» (chromosomes) ، وقد تعرف مورجان على الجسيم الصبغى

المختص بالتكاثر ، واقترح فكرة رسم خرائط تفصيلية للصبغيات .

فى سنة ١٩٥٥م تمكن كل من جيمس واطسون ، وفرانسيس كريك (James Watson and Francis Crick) من التعرف على التركيب الكيميائى لجزىء الحمض النووى الذى تكتب بمكوناته الشفرة الوراثية ، وعلى قدرته على الانقسام لتكرار ذاته . وإذا عدنا بهذا الانقسام إلى الوراء مع الزمن تنتهى الشفرة الوراثية لبلايين البشر الذين تمتلئ بهم جنبات الأرض اليوم ، وللبلايين الذين ماتوا من قبل ، وللبلايين الذين سيأتون من بعدنا إلى قيام الساعة ، ينتهى ذلك كله إلى شفرة وراثية واحدة كانت فى صلب أبينا آدم «عليه السلام» لحظة خلقه ، وأن التنوع فى صفات تلك الشفرة بالتوارث هو الذى أعطى البشرية ذلك التنوع الهائل فى صفاتها التشريحية وفى عدد من صفاتها السلوكية والنفسية .

فكل ما فى الفرد من سمات ، وميول ، وذوق ، ومزاج ، ولون ، وطول قامة ، وزمرة دم ، وغير ذلك من ضوابط . . . موروث عن سلسلة أجداده من ناحيتى الأب والأم ، وبعض هذه الصفات مستتر ، وبعضها سائد ، وقد تظهر هذه الصفات المستترة فى جيل من الأجيال ، ومن هنا تتضح روعة التعبير النبوى الشريف : «عسى أن يكون نزعه عرق» .

وهى حقيقة علمية لم تتضح أبعادها إلا فى العقود الأولى من القرن العشرين ، ولم تتبلور إلا فى أواخره ، ونطق رسول الله ﷺ بها بهذا الوضوح القاطع لما يشهد له بالنبوة وبالرسالة ، فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

١١ «عليكم بالسنا والسنوت فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام»

جاء فى كل من سنن ابن ماجه ، وجامع الترمذى ، ومستدرك الحاكم أن رسول الله ﷺ قال : «عليكم بالسنا والسنوت ، فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام» ، قيل يا رسول الله : وما السام؟! قال : «الموت» .

والحديث أخرجه الإمام ابن ماجه فى سننه (كتاب الطب) بسنده قال :

عن إِبْرَاهِيم بْن مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ سَرْحٍ الْفِرْيَابِىُّ قال : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ بَكْرٍ السَّكْسَكِىُّ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِى عَبْلَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا أُبَىٍّ بْنَ أُمٍّ حَرَامٍ وَكَانَ قَدْ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَتَيْنِ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «**عَلَيْكُمْ بِالسَّنَى وَالسَّنُّوتِ فَإِنَّ فِيهِمَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلاَّ السَّامَ**» . قِيلَ يا رَسُولَ اللَّهِ : وَمَا السَّامُ؟ قَالَ : «**الْمَوْتُ**» قَالَ : عَمْرُو قَالَ ابْنُ أَبِى عَبْلَةَ السَّنُّوتُ الشِّبِتُّ وقَالَ آخَرُونَ : بَلْ هُوَ الْعَسَلُ الَّذِى يَكُونُ فِى زِقَاقِ السَّمْنِ وَهُوَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

هُمْ السَّمْنُ بِالسَّنُّوتِ لاَ أَلْسَ فِيهِمُ
وَهُمْ يَمْنَعُونَ جَارَهُمْ أَنْ يُقَرَّدا

● والحديث أخرجه كل من الإمام الترمذى فى سننه والحاكم فى «المستدرك» .

التعليق على الحديث:

أولاً: السـنـا:

«السنا» نبات صحراوى ، عشبى ، معمر ، من الفصيلة البقولية «القرنية» ، ينتشر فى الحزام الصحراوى الممتد من موريتانيا غربا إلى أواسط آسيا شرقا ، ويمكن استزراعه بطريقة حولية ، وزهوره مائلة إلى الصفرة ، وبذوره مفلطحة ، دقيقة ، كلوية الشكل تقريبا ، واسمه العلمى (Cassia senna) مستمد من العربية ، ومنه أنواع أو تحت أنواع كثيرة من مثل «السنا الحجازى» (السنا المكى ، أو سنا مكة ، أو السنا مكى) ويعرف أحيانا باسم «العِشْرَق» واسمه العلمى (Cassia aschrek) مستمد أيضا من الأصل العربى ، أوراقه غائرة قليلا عند قمتها ولذا يعرف أحيانا باسم (Cassia senna acutifolia) ، بينما أوراق «السنا الهندى» حادة القمة ولذا تعرف علميا باسم : (Cassia senna angustifolia)

ويستخدم كل من أوراق وثمار «السنا» الجافة فى علاج العديد من الحالات المرضية من مثل حالات الإمساك المزمن ، وفقدان الشهية ، وعسر الهضم ، وفقر الدم ، والصفراء ، والنزلات الشعبية وأمراض الكبد والطحال ، وأمراض الجهاز الهضمى بصفة عامة ، والصداع ، وآلام الظهر .

وطبيخ السنا مع الخل يزيل الكحة ، ويعالج البواسير ، ويداوى العديد من الأمراض الجلدية ، ويعين على التئام الجروح ، ويوقف تساقط الشعر ، ومخلوطه مع السنوت يزيل الأورام بإذن الله «تعالى» .

ويستخدم حوالى الجرامين من أوراق وثمار السنا الجافة بعد نقعها فى كوب من الماء لمدة ١٢ ساعة ويشرب هذا النقيع ، أو يخلط مسحوق السنا مع العسل النحل ، ويُبْلَع .

وتحتوى أوراق نبات السنا وثماره على أعداد من المركبات العضوية المهمة من مثل الجيلكوسيدات ، والهيدروكسيلات ، والكيمفيرول ، والأيزوهامنتين ، وأكسالات الكالسيوم ، والعديد من المواد الأستيرولية ، والراتنجية والهلامية .

ثانيا: السنوت (الكمون الأبيض):

أما «السنوت» فهو عشب عطرى ، برى ، يتبع الفصيلة الخيمية ، أمكن استزراعه حوليا فى أماكن كثيرة من العالم ، يتميز بأوراق صغيرة متباعدة عن بعضها البعض ، وأزهار مرتبة ، فى نورات خيمية مركبة ، وثمار خضراء بنية ذات رائحة عطرية نفاذة ، وطعم حار لاذع .

ويعرف السنوت باسم «الكمون الأبيض» أو «الكمون الأخضر» أو «كمون الحوت» واسمه العلمى هو :

(Cuminum cyminum) أو (Rnethum graveolens)

وثمار «السنوت» من التوابل المهمة ، ويدخل مسحوقها فى صناعة الكارى الهندى ، وهى عبارة عن حبوب بيضية مستطيلة (بطول ٦ ملليمترات تقريبا) عليها زغب قصير ، وتنشق إلى نصفين بسهولة ، وتحتوى على زيوت طيارة بنسبة ٣٪ - ٧٪ ، وعلى العديد من المركبات العضوية وغير العضوية «من مثل مواد الكافون ،

والليمونين ، والبينين ، والداينتين ، والفيللاندرين» .

وتستخدم «ثمار السنوت» لفتح الشهية ، ولعلاج حالات المغص ، ولطرد الغازات ، ووقف التقلصات المعوية ، كما تستخدم فى علاج بعض أمراض العيون كالرمد ، وفى مداواة بعض حالات أمراض المخ والأعصاب ، والأرق ، وبعض حالات الأورام الخبيثة .

وللأستاذ الدكتور عبدالباسط سيد محمد دراسات فى هذا المجال خاصة فى علاج بعض الأورام السرطانية وفقه الله .

ثالثا: خليط السنا والسنوت:

وكل من هاتين النبتتين «السنا والسنوت» فى حاجة إلى دراسة علمية مستفيضة ، كل على حدة ، ومخلوطاتهما بنسب متعددة ، حتى تستبين لنا الحكمة من جمعهما فى حديث واحد من أحاديث رسول الله ﷺ ، ووصفهما بأن فيهما شفاء من كل داء إلا الموت .

ويعجب الإنسان من هذا الحديث النبوى الشريف الذى قيل منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة ، وما كان هناك من أحد يضطر الرسول الخاتم ﷺ على الخوض فى أمر غيبى كهذا لولا أن الله (تعالى) قد علمه ذلك الحديث هداية لخلقه ، ورحمة بهم ، ثم يأتى العلم ليؤكد على صحة ما جاء فيه ، وإن دَلَّ ذلك على شىء فإنما يدل على صدق نبوته ﷺ ، وعلى صدق رسالته ، وصدق صلته بالخالق الأعظم ، وصدق الله العظيم إذ يصفه بقوله «عز من قائل» :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾. (النجم : ٣ ـ ٥)

١٢ « التلبينة مجمة لفؤاد المريض، تذهب ببعض الحزن »

● هذا الحديث النبوى الشريف أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه (كتاب الأطعمة) بسنده فقال :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّها كَانَتْ إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ مِنْ أَهْلِهَا فَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ النِّسَاءُ ثُمَّ تَفَرَّقْنَ إِلاَّ أَهْلَها وَخَاصَّتَها أَمَرَتْ بِبُرْمَةٍ مِنْ تَلْبِينَةٍ فَطُبِخَتْ ثُمَّ صُنِعَ ثَرِيدٌ فَصُبَّتْ التَّلْبِينَةُ عَلَيْهَا ثُمَّ قَالَتْ : كُلْنَ مِنْهَا فَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ تَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ**» .

● والحديث أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه (كتاب السلام) بسنده قال :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ حَدَّثَنِى أَبِى عَنْ جَدِّى حَدَّثَنِى عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّها كَانَتْ إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ مِنْ أَهْلِهَا فَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ النِّسَاءُ ثُمَّ تَفَرَّقْنَ إِلاَّ أَهْلَهَا وَخَاصَّتَها أَمَرَتْ بِبُرْمَةٍ مِنْ تَلْبِينَةٍ

فَطُبِخَتْ ثُمَّ صُنِعَ ثَرِيدٌ فَصُبَّتْ التَّلْبِينَةُ عَلَيْهَا ثُمَّ قَالَتْ : كُلْنَ مِنْهَا فَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «**التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ تُذْهِبُ بَعْضَ الْحُزْنِ**» .

● والحديث أخرجه كذلك الإمام ابن ماجه فى سننه (كتاب الطب) بسنده ولفظه :

حَدَّثَنَا عَلِىُّ بْنُ أَبِى الْخَصِيبِ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ أَيْمَنَ بْنِ نَابِلٍ عَنْ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالَ لَهَا كُلْثُمٌ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : «**عَلَيْكُمْ بِالْبَغِيضِ النَّافِعِ التَّلْبِينَةِ**» يَعْنِى الْحَسَاءَ قَالَتْ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اشْتَكَى أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ لَمْ تَزَلْ الْبُرْمَةُ عَلَى النَّارِ حَتَّى يَنْتَهِى أَحَدُ طَرَفَيْهِ يَعْنِى يَبْرأُ أَوْ يَمُوتُ .

● والحديث أخرجه الإمام أحمد فى مسنده قال :

حَدَّثَنَا هَاشِمٌ قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ قَالَ حَدَّثَنَا عُقَيْلٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَتْ إِذَا أُصِيبَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا فَتَفَرَّقَ نِسَاءُ الْجَمَاعَةِ عَنْهَا وَبَقِىَ نِسَاءُ أَهْلِ خَاصَّتِهَا أَمَرَتْ بِبُرْمَةٍ مِنْ تَلْبِينَةٍ فَطُبِخَتْ ثُمَّ أَمَرَتْ بِثَرِيدٍ فَيُثْرَدُ وَصَبَّتْ التَّلْبِينَةَ عَلَى الثَّرِيدِ ثُمَّ قَالَتْ : «كُلُوا مِنْهَا فَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «**إِنَّ التَّلْبِينَةَ مجمّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ تُذْهِبُ بَعْضَ الْحُزْنِ**» .

● كذلك أخرج الإمام أحمد فى مسنده نصا آخر للحديث بسنده ولفظه :

حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِىُّ حَدَّثَنَا أَيْمَنُ بْنُ نَابِلٍ عَنْ أُمِّ كُلْثُوم عَنْ عَـائِشَـةَ قَـالَتْ : كَـانَ رَسُـولُ اللَّه ﷺ إِذَا قِـيلَ لَهُ إِنَّ فُـلانًا وَجِعٌ لايَطْعَمُ الطَّعَامَ قَالَ : **«عَلَيْكُمْ بِالتَّلْبِينَةِ فَحَسُّوهُ إِيَّاهَا فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَغْسِلُ بَطْنَ أَحَدِكُمْ كَمَا يَغْسِلُ أَحَدُكُمْ وَجْهَهُ بِالْمَاءِ مِنْ الْوَسَخِ»** .

● وأخرجه الإمام الترمذى فى سننه (كتاب الطب) برواية عن أم المؤمنين السيدة عائشة (رضى الله عنها) أنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا قيل له : إن فلانا وَجعٌ لا يطعم الطعام ، قال : **«عليكم بالتلبينة فَحَسُّوه إياها»** ، ويقول : **«والذى نفسى بيده، إنها تغسل بطن أحدكم كما تغسل إحداكن وجهها من الوسخ»** .

أو قال : **«إنه ليرتو فؤاد الحزين، ويسرو عن فؤاد السقيم، كما تسرو إحداكن الوسخ عن وجهها بالماء»** .

التعليق على الحديث:

التلبينة «أو التلبين» هى الحساء الرقيق فى قوام اللبن يصنع من الشعير المطبوخ مطحونا بنخالته «أى من دقيق الشعير بنخالته» وسميت بهذا الاسم لشبهها باللبن الحليب بياضا ورقة ، والشعير نبات عشبى حولى .

ولفظة «مجمة» ـ بفتح الميم والجيم أو بضم الميم وكسر الجيم» مستمدة من «الإجمام» وهو الراحة بمعنى أنها مريحة لفؤاد المريض .

ومعنى تذهب ببعض الحزن أنها مفرحة بخاصية فيها أو فى

بعض المركبات الموجودة فيها التى تساعد فى إنتاج الخلايا العصبية .

وحساء الشعير قاطع للعطش ، مدر للبول ، سهل الهضم ، نافع لحالات السعال وخشونة الحلق ، وصعوبة التنفس ، ولجلاء ما فى المعدة ، ولأمراض الكلى والمثانة ، ولإطفاء حرارة الجسم بصفة عامة ، ولتقوية الأجسام المضادة .

وقد أثبتت الدراسات الحديثة التى قام بها كل من الدكتور ماهر مهران محمد ، والمهندسة سحر مصطفى كامل ، والمهندس عبدالكريم التاجورى من كل من وزارة الزراعة المصرية ، وكلية الزراعة ـ جامعة القاهرة والسيدة زينيا هاوريش Zenia Hawrysh من جامعة ألبرتا ـ كندا أن الشعير يحتوى على عدد من المركبات الكيميائية التى تساعد على خفض نسبة الكوليسترول فى الدم من مثل مادة بيتا جلوكان Bita- Glucan والفيتامينات (أ) و(ب) و(جـ) و(د) وأشباه فيتامين (هـ) (Tocotriends) والمواد الضابطة لضغط الدم والمانعة للاضطراب ، من مثل مركبات كل من البوتاسيوم والمغنيسيوم ، والكالسيوم والفوسفور ، والناتريوم ، والحديد ، والنحاس ، والكوبالت ، والزنك ، والمضادات للعوامل المؤكسدة فى جسم الإنسان وهذه العوامل مما يجعله سريع الغضب وشديد الانفعال ، ويملأ قلبه بالاكتئاب والحزن ، وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن لهذه المركبات الكيميائية ـ منفردة ومجتمعة ـ تأثير إيجابى على الموصلات بين الخلايا العصبية مما يعين على التخفيف من حالات الاكتئاب ، والميل إلى الرضا وانشراح

الصدر ، وطمأنينة القلب ، والتعبير الطبى (تخفيف حالات الاكتئاب) يكاد يكون مطابقا لما جاء فى حديث رسول الله ﷺ من قوله : «**يذهب ببعض الحزن**» .

وحالات الاكتئاب تشخص اليوم بالخلل الكيميائى فى جسم الإنسان وعلاجه أساسا يكون بالغذاء المعالج لهذا الخلل من مثل حساء الشعير الغنى بالمواد النافعة فى مثل تلك الحالات .

وهنا يبدر التساؤل : من الذى علم المصطفى ﷺ هذه الحقائق كلها عن حساء الشعير غير الله الخالق؟ ومن الذى كان يضطره إلى الخوض فى مثل هذه القضايا الغيبية فى زمانه ولقرون متطاولة من بعده لولا أن الله تعالى قد علمه إياها ، وأمره بإشاعتها بين الناس لينتفعوا بها فى أحوال أمراضهم واكتئابهم ، ولتبقى أقواله شاهدة له ﷺ بالنبوة وبالرسالة فى عصر العلم والتقنية الذى نعيشه ، والذى أثبتت فيه الدراسات المكتسبة بعد مجاهدات طويلة فائدة الشعير فى علاج العديد من الأمراض البدنية والنفسية .

فصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ، ودعا بدعوته إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

١٣ « لو تعلم أمتى ما فى الحلبة لاشتروا ولو بوزنها ذهبا »

أخرج الإمام الهيثمى فى مجمع زوائده أن رسول الله ﷺ قال : «لو تعلم أمتى ما فى الحلبة لاشتروا ولو بوزنها ذهبا»
(مجمع الزوائد للهيثمى : ٤٤/٥)

التعليق على الحديث:

الحلبة من نباتات المحاصيل البذرية المنطوية تحت رتبة ذوات الورد Order Rosales وفوق عائلة الورديات Superfamily Rosaceae وعائلة الخضراوات القرنية أو القرنيات Family leguminosae وتحت عائلة الفراشيات Subfamily Papillonoidae ، وهى نباتات عشبية أوراقها مركبة أو ريشية أو راحية أو ثلاثية تشبه أوراق البرسيم ، وثمارها قرنية ، وبذورها عديمة الاندوسبرم ، وتشمل العديد من نباتات المحاصيل من مثل الفول ، البازلاء ، الحمص ، الفول السودانى ، الحلبة ، الفاصوليا ، اللوبيا ، العدس ، الترمس ، وفول الصويا .

والحلبة اسمها العلمى Trigonella foenum graecum .

وللحلبة فوائد عديدة منها أنها مدرة للحليب عند الأمهات المرضعات ، وفاتحة للشهية ، ومعاونة جيدة فى حالات عسر الهضم ، ومضادة للالتهابات ، ولذلك تستخدم فى علاج آلام المفاصل ، وفى علاج الجروح المختلفة .

وللحلبة دور فعال فى علاج أمراض البول السكرى ، فقد ثبت أن جرامين من الحلبة المطحونة تعادل وحدة واحدة من عقار الإنسولين ، وذلك لاحتواء بذور الحلبة على سلاسل البيتيدات المرتبطة بالزنك ، والتى يعزى إليها التأثير على نسبة السكر فى الدم ، هذا بالإضافة إلى ما بها من الأحماض الأمينية والكبريتية التى تساعد على تحويل السلاسل البيتيدية فى البنكرياس إلى بنسلين فعال كما أشار إلى ذلك الأستاذ الدكتور عبدالباسط محمد سيد أستاذ الفيزياء الحيوية الجزيئية والطبية بالمركز القومى للبحوث - الدقى - القاهرة . وذلك فى كتابه القيم «التداوى بالأعشاب والطب النبوى» ، حيث أكد أن مرضى السكر يعانون نقصا فى الرابطة الكبريتية التى تربط بين السلاسل البيتيدية لتعطى جزىء الإنسولين الفعال ، ولذلك فإن الكبريت فى صورته العضوية فى نبات مثل نبات الحلبة يزيد من فعالية البنكرياس مما يعين فى معالجة أمراض البول السكرى .

وبذور الحلبة تحتوى على ٢٩٪ من المواد البروتينية ، ٦٪ من الزيوت الثابتة والطيارة ، وعلى نسب عالية من فيتامينات ب١ ، ب٢ ، ومادة النياسين ، وحمض البانتونين ، والتريجونيللين ، والكولين ، والسابونين ، ومادة الديوسجنين والأمينات ثلاثية الميثيل ، وهى مواد لها تأثيرها على أعراض الدورة الشهرية عند البالغات ، هذا بالإضافة إلى العديد من العناصر من مثل الحديد ، والفوسفور ، والإنزيمات ، والهرمونات ، والمواد الصمغية .

وهذه المركبات تتضاعف فوائدها فى حالات استنبات البذور

وتكون براعمها حيث تتحول البروتينات المحتوية على أعداد كبيرة من الأحماض الأمينية الأساسية إلى تلك الأحماض المنفصلة عن بعضها البعض ، وإلى أعداد من الفيتامينات والهرمونات المستعملة والتى تتكاثر بشكل ملحوظ فى الوسط المائى خلال عملية التبرعم .

وهذه الحقائق العلمية عن نبات الحلبة لم تتبلور إلا فى القرن العشرين ، وفى العقود المتأخرة منه على وجه التحديد . والسؤال الذى يفرض نفسه : من الذى علم المصطفى ﷺ ذلك حتى ينطق بهذا الحديث المعجز غير الله تعالى؟ ومن الذى كان يضطره إلى الخوض فى قضية علمية لم تكن معروفة فى زمانه ، ولا لقرون كثيرة من بعده ، كقضية الفوائد الطبية لنبات الحلبة لو لم يكن ذلك وحيا أوحاه الله تعالى إليه ليفيد الناس بهذا العلم الذى يبقى إلى قيام الساعة شاهدًا له ﷺ بالنبوة وبالرسالة . فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وعلى كل من تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

١٤ «العدس أكله يرقق القلب، ويدمع العين، ويذهب الكبر»

● روى الإمام البيهقى عن رسول الله ﷺ أنه قال فى العدس : «**أكله يرقق القلب ، ويدمع العين ، ويذهب الكبر**» .

التعليق على الحديث:

العدس نبات عشبى ، حولى ، من نباتات المحاصيل البذرية المنطوية تحت رتبة ذوات الورد Order Rosales وفوق عائلة الورديات Superfamily Rosaceae وعائلة الخضراوات Family Leguminosae ، وتحت عائلة الفراشيات Subfamily Papilionoi-dae ، وهى نباتات عشبية من ذوات الأوراق المركبة الريشية ، أو الراحية ، أو الثلاثية ، وثمارها قرنية ، وبذورها عديمة الإندوسبرم ، وتشمل العديد من نباتات المحاصيل من مثل الفول ، العدس ، البازلاء ، الحمص ، الفاصوليا ، اللوبيا ، الترمس ، والفول السودانى ، وفول الصويا ، والحلبة .

وزهرة العدس بيضاء اللون مشوبة بالبنفسجية ، وثمرته من البقول وهى حبة عدسية الشكل ، صغيرة ومفلطحة ، تحتوى على بذرة واحدة أو على بذرتين ، وللبذرة قشرة بنية داكنة تحوى فلقتين بلون برتقالى جميل ضارب للصفرة ، والاسم العلمى للعدس هو Lens esculenias .

وتحتوى حبوب العدس على نسبة عالية من البروتين (٢٤٪) ، والكربوهيدرات (٢٦٪) ، والدهون (١,٤٪) بالإضافة إلى نسب متباينة من مركبات كل من الفوسفور ، والمغنيسيوم ، والكالسيوم ، والناتريوم ، والبوتاسيوم ، والحديد ، والمنجنيز ، والزنك ، والنحاس ، ونسب متباينة كذلك من الفيتامينات أ ، ب١ ، ب٢ ، ب٦ ، ب١٢ ، جـ ، د ، وأعداد من الهرمونات والإنزيمات المختلفة .

والعدس المستنبت تتعاظم فوائده مرات عديدة حيث تتضاعف فيه نسب كل من الفيتامينات والهرمونات والإنزيمات مع التميؤ المصاحب لعملية التبرعم ، وتتحول إلى مركبات أكثر سهولة للاستيعاب بواسطة جسم الإنسان ، وإن كانت عملية استنبات العدس تحتاج إلى مراقبة جيدة لأنها لو تجاوزت الوقت المحدد ظهرت الأوراق ، وبظهورها تفقد البذور جزءاً من قيمتها الغذائية ويصبح طعمها مراً .

وحبوب العدس المطبوخة لها قيمة غذائية كبيرة ، ونابتها يمثل علاجًا لكثير من الأمراض من مثل فقر الدم ، وقشرها يعالج الإمساك ، ويعمل على إدرار البول ، وهو مضاد لكثير من الفطريات ولذا فإنه يساعد على حفظ الأسنان من التسوس ، ولصقات وكمادات معجون العدس المسلوق تفيد فى علاج الالتهابات ، والجروح ، ودماميل مختلف القروح .

والعدس من النباتات المعروفة منذ القدم ، فقد عرف فى معظم الحضارات البائدة ، وعرفه قدماء المصريين ، وجاء ذكره مرة واحدة فى القرآن الكريم حيث يقول ربنا تبارك وتعالى مخاطبا شراذم العصاة من اليهود :

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ . (البقرة : ٦١)

والعدس من الأكلات الشعبية ـ على الرغم من قيمته الغذائية والطبية العالية ـ ولذا قال فيه رسول الله ﷺ : «**إن أكله يرقق القلب ، ويدمع العين ، ويذهب الكبر**» .

والعدس لم يكن شائعا فى جزيرة العرب ، على عهد رسول الله ﷺ ، ولذلك يعتبر وصفه له فى هذا الحديث الشريف الذى نحن بصدده من معجزات هذا النبى الخاتم والرسول الخاتم الذى وصفه ربنا تبارك وتعالى بقوله العزيز :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ . عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ . (النجم : ٣ ـ ٥)

فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

١٥ «النهى عن أكل الجلالة وألبانها»

أخرج كل من الإمامين الترمذى ، وأبو داود عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أنه قال : «نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحم الجلالة وألبانها» .

● فقال الإمام الترمذى فى سننه (كتاب الأطعمة) :

حَدَّثَنَا هَنَّادٌ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَقَ عَنْ ابْنِ أَبِى نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عمَرَ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْلِ الْجَلَّالَةِ وَأَلْبَانِهَا .

● والحديث أخرجه الإمام أبو داود فى سننه (كتاب الأطعمة) بسنده قال :

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِى شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَقَ عَنْ ابْنِ أَبِي نجيح عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : **نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْلِ الْجَلالَةِ وأَلْبَانِهَا .**

التعليق على الحديث:

الجلالة هى الحيوانات التى دأبت على أكل النجاسات

والمستقذرات من الأمور من مثل مخلفات وإخراجات الحيوانات الأخرى .

وتكملة الحديث الوصية بضرورة حبس الحيوان الجلال ، وعلفه بالغذاء الطاهر لفترة تتناسب مع حجمه حتى تزول ما به من نجاسات ، ويعود إلى حالة من النظافة والطهر تطيب نفس الإنسان السوى معها بأكل لحمه وغير اللحم من منتجاته وشرب لبنه إن كان له لبن بلا ضرر أو ضرار .

واختلف الفقهاء فى سحب هذا النهى على التحريم أو التنزيه ، وواضح الأمر أنه أقرب إلى التحريم إلا فى حالات الضرورة القصوى ، بل إن بعض الفقهاء قد زاد القول بحرمة ركوب الجلالة خشية أن يتعرض الراكب للتلوث بنجاسة عرقها ، وغالب الرأى هو كراهة الركوب تنزها من نتن عرقها .

وفى زماننا قام موقف يشابه حديث الجلالة تمامًا أجبر فيه الإنسان الحيوان على أكل النجاسات والمستقذرات ، فأصابه من الأمراض المستعصية ما انتقل إلى الإنسان عن طريق الطعام ، وحمل إلى السلالات بالميراث ، بل وانتقل إلى أعداد من الحيوانات الأليفة والبرية إما عن طريق الطعام أو المخالطة ، وكان السبب فى ذلك هو الشره الشديد للمكسب السريع ، وعدم المبالاة بأخطار مخالفة الفطرة التى فطر الله المخلوقات عليها .

ففى العقود المتأخرة من القرن العشرين تفتقت أذهان بعض الشياطين عن فكرة تغذية كل من الأغنام والماشية والدواجن بفضلات ذبح الحيوانات من الدماء ، والشحوم ، والأحشاء

ومساحيق العظام بالإضافة إلى أعداد من الهرمونات طمعًا فى زيادة إنتاجها من اللحوم والألبان والبيض .

وفى نوفمبر ١٩٨٦م فوجئت بريطانيا ـ ومن بعدها العديد من الدول الأوربية ـ بانتشار عدد من الأمراض المستعصية فى تلك الحيوانات التى غذيت بالبروتينات الحيوانية ، وقد فطرها الله تعالى على أكل الأعشاب والحبوب النباتية .

وكان من أخطر هذه الأمراض ما عرف باسم «مرض جنون البقر» (Mad Cow Disease = Bovine Spongiform Encephalopathy or B.S.E) وهذا المرض يهاجم مخ الحيوان فيدمره تدميرًا بتحويله إلى حالة إسفنجية منخربة ومتآكلة ، فيفقد السيطرة على ذاته وحركاته ويهيج هياجًا شديدًا حتى الموت .

وقد ثبت انتقال هذا المرض إلى آكلى لحوم وألبان تلك الحيوانات المصابة وإلى السلالات التى أنتجتها ، مما اضطر السلطات فى أوربا إلى إصدار القرار بحظر استخدام البروتينات الحيوانية فى تغذية كل من الماشية والأغنام والدواجن ، وذلك فى سنة ١٩٨٨م ، وبإعدام جميع الحيوانات المصابة مما أدى إلى خسائر مادية فادحة ، ففى الفترة من نوفمبر ١٩٨٦م حين تم تشخيص مرض «جنون البقر» لأول مرة إلى إبريل ١٩٩١م تم إعدام أكثر من ستة وعشرين ألف رأس من البقر المصاب فى بريطانيا وحدها .

ولم يتم التعرف على مسببات هذا المرض الخطير إلى يومنا هذا ، وإن كان يظن أنه «ڤيروس» غير عادى يقاوم كل المضادات الحيوية ودرجات الحرارة العالية ، ولم يتمكن العلماء من رؤية ذلك

القيروس بعد ولا حتى تحت المجهر الإلكترونى ، ولم يتمكنوا تتبعه عن طريق الجسيمات المضادة حيث إنه لا يثير أية جسيمات مضادة فى الأجسام التى يصيبها .

وحديث الجلالة الذى نطق به رسول الله ﷺ من قبل ١٤٠٠ سنة ، فى بيئة لم يكن لها حظ من المعرفة العلمية قد أثبت الإنسان صحته فى زماننا مما يشهد له ﷺ بالنبوة وبالرسالة ، وبأنه كان موصولاً بالوحى ومعلمًا من قِبَل خالق السموات والأرض ، فصلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .



١٦ «الطهور شطر الإيمان..».

● أخرج الإمام مسلم فى صحيحه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن - أو تملأ - ما بين السموات والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو ، فبائع نفسه ، فمعتقها أو موبقها» .

● والحديث أخرجه الإمام الترمذى فى سننه (كتاب الدعوات) بلفظ : «**الوضوء شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان . .**» .

● وجاء الحديث فى سنن النسائى (كتاب الزكاة) عن أبى مالك الأشعرى حدثه أن رسول الله ﷺ قال : «**إسباغ الوضوء شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان . . .**»

● وكذلك جاء الحديث فى سنن ابن ماجة (كتاب الطهارة وسننها) بلفظه ، وأيضا فى سنن الدارمى (كتاب الطهارة) بلفظه .

التعليق على الحديث الشريف:

هذا الحديث الشريف يحتاج فى شرحه ، وفى عرض جوانب الإعجاز فيه إلى صفحات عديدة ، ولكننى سوف أقصر التعليق هنا على الجملة الأولى منه فقط ، والتى يقرر فيها المصطفى ﷺ أن الطهور هو نصف الإيمان .

ولفظة الطهور هنا تشمل طهارة كل من البدن ، والملبس ، والنعل ، والمسكن ، والفناء والطرقات والمجارى المائية الخاصة والعامة ، والإناء ، والشراب ، والطعام ، وكل ما يستخدمه الإنسان من أدوات ، كما يشمل طهارة كل من القلب والنفس ، وطهارة كل أمر يخص المسلم : رجلاً كان أو امرأة ، طفلاً أو غلامًا ، أو شابًا يافعًا ، وطهارة كل أمر يخص أسرته ، ومجتمعه ، ويخص الناس والأرض جميعا .

و«الطَّهور» بالفتح مصدر بمعنى التطهر ، كما أنه اسم لما يُتَطَهَّرُ به وصفة له كما فى قوله تعالى : ﴿ . .وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ (الفرقان : ٤٨) .

ويقال «طَهُرَ» الشىء «بفتح الهاء وضمها» يَطْهُرُ طَهَارَةً أى تنزه عن النجاسات والأدناس ، والاسم الطُّهْرُ ، ويقال : طَهَّرَهُ تطهيرًا وتطَهّرَ بالماء ، وهم قوم يتطهرون أى يتنزهون من الأدناس .

ورجل طاهر الثياب أى منزه عن النقائص ، والطُّهْرُ «بالضم» ضد الحيض ، ويقال : المرأة طاهر من الحيض ، وطاهرة من النجاسات ومن العيوب ، ويقال : طَهُرَت المرأة (بفتح الهاء وضمها) طهرًا وطهارة .

والطهارة ضربان : طهارة جسم وطهارة نفس ، وحمل على هذين المعنيين عامة الآيات القرآنية الكريمة التى أشارت إلى الطهارة .

ويقال : طَهَّرْتُهُ فَطَهُرَ وتَطَهَّرَ واطَّهر فهو طاهر ومتطهر .

وعلى ذلك فإن للطهارة من المدلولات ما يفوق مجرد النظافة المادية لأنها تحوى من الضوابط والقيم والحدود ما لايحويه مجرد النظافة المادية ، ومن ذلك اجتناب كل ما حرمه الله سواء فهم الإنسان الحكمة من تحريمه أو لم يفهمها ، انطلاقا من الإيمان بكمال علم الله وإحاطته وشموله ، وقصور علم الإنسان ، ومحدوديته ، وعجزه .

ومفهوم الطهارة فى الإسلام كما يشمل النظافة المادية من كل وسخ ودنس ورجس ، ومن كل حرام حرمه الله ، يشمل طهارة كل من القلب والنفس من الكراهية ، والحقد ، والغل ، والحسد ، والرياء والكذب والخيانة والنفاق ، وسوء الأخلاق ، ويمتد إلى طهارة المجتمع من الآفات الاجتماعية المختلفة كضياع الأمانة ، وخراب الذمم وتفشى الرشوة والمحسوبية والغش واستغلال النفوذ ، وانتشار الربا ، والزنا والفواحش ، والفتن ما ظهر منها وما بطن ، وسيادة الأفكار المنحرفة ، والسلوكيات غير المنضبطة ، والقيم الهابطة الساقطة .

وطهارة البدن والملبس ركن من أركان الكثير من العبادات فى الإسلام من مثل الصلاة والطواف حول الكعبة المشرفة وتلاوة القرآن الكريم من المصحف الشريف ، وذلك لأن طهارة البدن والثياب مقدمة لطهارة كل من القلب والنفس ، ولذلك أنزل ربنا «تبارك وتعالى» من قبل ألف وأربعمائة سنة قوله الحق :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ . (المائدة : ٦)

وهذا الأمر الإلهى بضرورة الطهارة الكاملة قبل الوقوف بين يدى الله فى الصلاة أو الطواف أو تلاوة القرآن هو من لوازم الضراعة والخشوع والتهيئة الروحية لمناجاة الله ، ومن هنا كانت فريضة الوضوء والغسل من الجنابة ، والتيمم فى حال عدم وجود الماء أو فى حال المرض الذى يؤذى الماء صاحبه .

وجانب التطهر الروحى فى هذا الأمر الإلهى أقوى من الطهارة المادية للبدن والملبس ـ على ضرورة ذلك وأهميته ـ لأنه عند تعذر وجود الماء يستعاض عنه بالتيمم الذى لا يحقق إلا الطهارة النفسية والروحية والقلبية ، وفى ذلك تأكيد على أهمية الصلاة التى يجب أداؤها فى كل الأحوال وتحت كل الظروف .

هذا وقد سبق الحديث عن كل من الوضوء والغسل والتيمم فى هذه الآية الكريمة آيات فى سورة المائدة تتحدث عن الطيبات من

الطعام والطيبات من النساء استكمالا للطهر فى حياة المؤمن لأن الله تعالى طيب ولا يقبل إلا ما كان طاهرا طيبا ، ثم تختتم الآية الكريمة التى نحن بصددها بقول الحق «تبارك وتعالى» :

﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

والقرآن الكريم إذ يعظم الطهارة بأبعادها المختلفة أورد ذكرها فى واحد وثلاثين موضعا منها قوله «تعالى» :

﴿ ... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة : ٢٢٢)

وقوله «عز من قائل» :

﴿ فيه رجال يحبون أن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ (التوبة : ١٠٨)

والطهور هنا جاء بمعناه الشامل الذى يشمل الجانب المادى كما يشمل الجانب النفسى والقلبى والروحى بمعنى التطهر من كل أنواع النجاسات المادية ، كما يشمل التوبة من الذنوب ، والتنزه عن الوقوع فى المعاصى والمفاسد ، والآثام وغير ذلك من أدران الدنيا ونجاساتها المعنوية ، وسوء أخلاق الناس فيها .

والوضوء بهيئته الإسلامية المحددة وسيلة محكمة لتحقيق طهارة البدن والثوب ، وهى طهارة واجبة على كل مسلم ومسلمة ، وهى شرط لصحة الصلاة المفروضة خمس مرات فى اليوم والليلة ، غير النوافل ، وبذلك يقوم المسلم بتطهير بدنه بالوضوء خمس مرات فى اليوم والليلة ، وبالغسل الكامل فى حالات خاصة ، ويحرص على طهارة ثوبه ونعله طهارة كاملة من أى دنس .

وبدن الإنسان كرمه الله تعالى حيّاً وميتا ، وهو فى حياته يفرز من البول والبراز والعرق والمخاط وغير ذلك من نواتج العمليات الحياتية ما يستوجب التطهر من آثارها أولا بأول ومن هنا كانت فرائض الوضوء والغسل . وكانت وصية رسول الله ﷺ بقوله الشريف : «**خمس من الفطرة: قص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، والاستحداد، والختان**» (النسائى) .

ومن هنا أيضا عظم القرآن الكريم ، كما عظمت السنة النبوية الشريفة الطهارة بأبعادها المختلفة تعظيمًا كبيرًا قبل أن يكتشف الإنسان جراثيم الأمراض ، وقبل أن يدرك أن تدنى مستوى النظافة المادية (للبدن والثياب والنعل ، والمأكل ، والمشرب ، والإناء ، والمسكن ، والفناء ، والطرقات ، والمجارى المائية الخاصة والعامة) هو من الأسباب الرئيسية للعديد من الأمراض ، وذلك بأكثر من اثنى عشر قرنا ، وفى ذلك يُؤثَر عن رسول الله ﷺ أنه كان أنظف الناس وأطهرهم ، وكان فى ذاته ، وأفعاله ، وأقواله قمة فى ذلك ، ونموذجًا يحتذى به ، فمن أقواله المأثورة :

«**طهروا هذه الأجساد طهركم الله**» (فى الكبير جـ١٢/٤٤٦ حديث رقم ١٣٦٢٠ ، المنذرى فى الترغيب ١/٤٠٩) .

ويوصى رسول الله ﷺ بالمداومة على الطهارة حتى فى خارج الصلاة ، وفى غير أوقات الطواف بالبيت أو تلاوة القرآن الكريم من المصحف الشريف فيقول (عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم) مخاطبا أنس بن مالك رضي الله عنه :

«**يا بنى، إن استطعت ألا تزال على طهارة فافعل، فإنه من أتاه الموت وهو على وضوء أعطى الشهادة**» .

«الترمذى فى كنز العمال ٢٩٣/٩ ، حديث رقم ٢٦٠٦٦)

وقد ثبت بالتجربة أن للوضوء تأثيرًا فعالاً على طهارة الجسد البشرى من ناحية تطهير كل من الفم والأنف وهما مدخلان أساسيان للملوثات ، والجراثيم ، والفطريات ، والبكتيريا إلى داخل الجسم ، ويتم تطهيرهما أثناء عملية الوضوء خمسة عشر مرة على الأقل فى كل يوم وليلة ، وتقوم كل من مضمضة الفم ، والاستنشاق والاستنثار للأنف بتطهيرهما مما يمكن أن يلتصق بهما من عوالق من مثل بقايا الطعام والبكتيريا فى الفم ، والأتربة ، والبكتيريا ، والفطريات ، والجراثيم والقشور والإفرازات المخاطية من كل من الأنف والجيوب الأنفية ، وغير ذلك من الملوثات التى تنتشر فى الغلاف الغازى للأرض وسرعان ما يتنفسها الإنسان عن طريق كل من الأنف والفم .

وبالإضافة إلى الوضوء يوصى رسول الله ﷺ باستخدام السواك لنظافة وتطهير كل من الفم والأسنان وذلك فى عدد غير قليل من أحاديثه «صلوات الله وسلامه عليه» التى منها قوله : **«لولا أن أشق على أمتى ـ أو لولا أن أشق على الناس ـ لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»** .

(البخارى : حديث رقم ٨٨٧ ، مسلم : حديث رقم ٢٥٢)

وقوله ﷺ : **«السواك مطهرة للفم مرضاة للرب»** (النسائى : ٥/١)

والمسلم مطالب أيضا بطهارة ملبسه من كل أنواع النجاسات ، فإذا أصاب ثوبه أو بدنه أى نوع من النجاسات وجب عليه غسلهما بالماء فورا حتى تزول عنهما النجاسة إن كانت ظاهرة ، فإن لم تكن ظاهرة مرئية فإنه يكتفى بغسله بالماء .

والمسلم مطالب أيضا بطهارة كل من مأكله ومشربه من جميع الملوثات ، والنجاسات ، والأقذار ، وكل أنواع المحرمات من أمثال المسكرات ، والمخدرات ، والمفترات ، وما قال فيه ربنا «تبارك وتعالى» : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ .. ﴾ . (المائدة : ٣)

وفى ذلك يقول المصطفى ﷺ :

«إذا شرب الكلب من إناء أحدكم فليغسله سبعًا إحداهن بالتراب» .(فتح البارى : ٢٩٨٩/١٣٢/٦) .

كذلك نهى رسول الله «عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم» أن يبال فى الماء الجارى ، وبالتالى فإن النهى عن التبول فى الماء الراكد أشد حتى لا ينجس ويكون مرتعًا للجراثيم والفيروسات وغيرها من مسببات الأمراض . وبالإضافة إلى كل ذلك اعتبر المصطفى ﷺ أن إماطة الأذى عن الطريق صدقة ، وأمر بنظافة المساكن والأفنية .

ومفهوم الطهارة فى الإسلام يتسع فوق ذلك ليشمل طهارة النفس بتخليصها من وساوس الشيطان وجنوده وأعوانه والتى تغوى الإنسان إلى الخروج عن أوامر الله وتجاوز حدوده ، وإلى الغوص فى أوحال المعاصى وشراك الضلال التى تغرقه فى بحور من الحيرة والضياع فى الدنيا ، وتقوده إلى الذل والهوان والهلاك فى الآخرة .

كذلك يشمل مفهوم الطهارة فى الإسلام طهارة القلب من كل

مـا يريب ، بالمبـادرة المسـتـمـرة إلى مـحـو آثار المعـاصى والـذنوب بالاستـغـفار والتوبة إلى الله ، وفى ذلك يقـول المصطفى ﷺ : «**يا أيهـا الـناس توبـوا إلى الله فـإنـى أتوب إلى الله فى الـيـوم مـائة مرة**» (مسلم : حديث رقم ٦٨٥٨/٤١/٢٧٠٢) .

انطلاقا من كل ذلك جاء حديث المصطفى ﷺ الذي استهله بقـوله الشـريف : «**الطهـور شطر الإيمان . .**» سبـقًا علمـيًا وطبـيًا مـبهرًا ، وضع الضـوابط الكاملة لعـدد من العلوم المستـحـدثة والتى تعرف باسم الصحة العـامـة (Public Health) وعلـم التـصحـح أو حفظ الصحـة والعافية (Hygiene) فى زمن لم يكن لأحد من الخلق إدراك لقيمة النظافة والطهارة العامة فى الوقاية الصحية . وأتبع المصطفى ﷺ ذلك بالتـأكيـد على فضل ذكـر الله «تعـالى» بالحـمـد والتـسبـيح ، وإقام الصـلاة ، وإيتـاء الزكـاء ، والصـبـر على المكـاره ، والإيمان بحـجـيـة القـرآن الكريم على العـبـاد ، وبأن الدنيـا مزرعـة للآخـرة ، وبأنهـا رحلة عـابرة إلى دار خلود بلا فناء إمـا فى الجنة أبدا أو فى النار أبدا ، وأهل الجنة قـد أعـتق الله رقـابهـم من النار وجحيمها ، وأهل النار قد أوبقتهم أعمالهم فيها .

وهذا البـيـان المعـجـز من نبى أُمِّى فى أمة كـانت غـالبـيـتـهـا الساحـقـة من الأمـيين ، ومن قـبـل ألف وأربعـمـائة سنة ؛ يشـهـد لصاحبه بالنبوة وبالرسالة ، فصلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحـبـه ، ومن تبع هداه ودعـا بدعـوته إلى يوم الدين والحـمـد لله رب العالمين .

١٧ «لو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة قلت التين..».

روى أبو الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «لَوْ قُلْتُ إنَّ فاكهة نزلت من الجنة قُلْتُ التين ، لأن فاكهة الجنة بلا عَجَمٍ - كلوا منه فإنه يقطع البواسير وينفع النِّقْرِسَ»(تفسير القرطبى) .

وفى رواية لأبى ذر ﷺ قال «أهدى للنبى ﷺ سَلٌّ تين ، فقال : كلوا ، وأكل منه ، ثم قال : لو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة ، لقلت هذه ، لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير ، وتنفع فى النقرس . .» .

التعليق على الحديث:

وشجرة التين البرى (Ficus carica) تتبع إحدى العائلات النباتية المعروفة باسم العائلة التوتية (Family Maraceac) وهى شجرة متساقطة الأوراق فى فصلى الخريف والشتاء ، تنمو فى منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط خاصة فى كل من تركيا وبلاد الشام (سوريا ولبنان وفلسطين) ومصر وباقى دول شمال إفريقيا ، وتمتد شرقا إلى إيران ، وتمتاز أشجار التين بقدرتها على تحمل الجفاف ، وعلى خزن محتوى عالٍ من الماء ، وبوجود مادة لبنية فى أنسجتها ، تستخدم كمادة ملينة وكمزيل للثآليل

(Warts) . وثمرة التين ثمرة مركبة تتكون من مئات الثمار البالغة الدقة تجتمع على شحمة طرية حلوة المذاق مليئة بالبذور التى تعتبر كل بذرة منها نواة لثمرة مستقلة .

وأشجار التين التى يزرعها الإنسان من أمثال أشجار «التين الأزميرلى» والتين السلطانى هى من سلالات التين البرى الذى لايزال ينمو بريا فى حوض البحر الأبيض المتوسط (الموطن الأصلى لأشجار التين) .

ونورة التين البرى نورة ذات متاع مبكر النضج بمعنى أن مياسم الأزهار المؤنثة تنضج قبل نضج متوك الأزهار المذكرة الموجودة فى نفس النورة ، ولذلك فإن عملية التلقيح لاتتم إلا بواسطة الحشرات حتى تتكون البذور ويتم نضج الثمار .

وتقوم حشرة خاصة تسمى باسم «ذات البلعوم المتفجر» (Blasrophaga) بتلقيح أشجار التين من خلال منفعة متبادلة بينهما تقوم شجرة التين فيها بتهيئة المكان الدافئ الأمين للحشرة تضع فيه بيضها حتى يفقس ، ثم تغذى صغارها حتى يكتمل نمو تلك الصغار ، وتقوم الحشرة بعملية التلقيح اللازمة لإثمار شجرة التين .

ويتكون على شجرة التين البرى ثلاثة أجيال من النورات فى كل عام ، تحوى نورات الجيل الأول منها أزهارًا مذكرة وأخرى حاضنة للحشرات ، أما أزهار الجيل الثانى فتحوى أزهارًا مؤنثة فقط ، وهى تمثل المحصول الرئيسى للتين حيث تتمكن الحشرات من تلقيح تلك الأزهار المؤنثة بما يعلق فى أهدابها من متوك الأزهار المذكرة التى تكونت فى الجيل الأول من أزهار شجرة التين ، وبعد

ذلك يأتى الجيل الثالث من نورات شجرة التين التى تحوى أزهارًا حاضنة للحشرة المتعايشة معها فقط ، وفيها تقضى الحشرة فصل الشتاء .

وفى نورة شجرة التين تقضى حشرة «ذات البلعوم المتفجر» أو (البلاستوفاجا) ، فترة التزاوج حيث تنتهى حياة الذكر بتلقيح أنثاه ، فتخرج الإناث المخصبة من النورة التى تلقحت فيها باحثة عن نورة أخرى تضع فيها بيضها ، فيحتك جسمها أثناء خروجها من النورة التى أخصبت فيها بالأزهار المذكرة فتتعفر بحبوب اللقاح التى تحملها إلى مياسم الأزهار المؤنثة فى أثناء بحثها عن أزهار تضع فيها بيضها ، وبذلك تتم عملية التلقيح اللازمة لنمو البذور ونضج ثمار التين .

ونتيجة لعمليات التهجين الطبيعى «الفطرى» فى نبات التين البرى نشأت منه عدة سلالات توضع عادة فى مجموعتين رئيستين تعرف الأولى منهما باسم سلالة التين الكابرىFicus) (carica caprifica تحوى نوراتها أزهارا مذكرة وأخرى حاضنة ، وثمار هذه السلالة لا تصلح للآدميين ولذلك تعطى علفًا للماشية .

وتعرف السلالة الثانية باسم التين الشائع (Common fig) أو المستأنس (Ficus carica domestica) وتحوى نوراتها أزهارًا مؤنثة فقط ، وثمارها هى التى تؤكل بواسطة الإنسان ، ومنها التين الأزميرلى ، والتين السلطانى ، والأخير هو الذى يزرع فى مصر ، وتحمل نوراته أزهارًا عقيمة تنتج بعملية التكاثر الخضرى ، ولا تحتاج إلى عملية تلقيح ، وعلى ذلك فإن ثماره بكرية ، خالية من البذور ، رطبة ، لا تصلح للتجفيف ، وموسمه قصير لا يكاد أن يتعدى ثلاثة أشهر .

أما «التين الأزميرلى» فتحوى نوراته أزهارًا مؤنثة تثمر بالتلقيح ،

وتمتاز ثماره باحتوائها على البذور ومن ثم كانت قابليتها للتجفيف والتصدير ، ومن شروط نجاح زراعة «التين الأزميرلى» مزاحمته مع أشجار التين الكابرى .

وتثمر شجرة التين الأزميرلى مرتين فى العام ، الأولى منهما فى مطلع الصيف ، والثانية فى أواخر الصيف ، وهى شجرة معمرة ، يمكن أن تستمر فى الإثمار لمدة تزيد على الخمسين عاما .

وارتفاع شجرة التين عادة لا يتجاوز سبعة أمتار ، وثمرة التين تجمع بين صفات الزهرة والثمرة لأن حبيبات التين تمثل كل منها زهرة لم تر النور ، ومع ذلك فإنها تنضج نضجا كاملا دون أن ترى الشمس .

وتشبه ثمرة التين فى كثير من صفاتها ثمرة الجميز ، الذى يعتبر نوعا من أنواع التين يعرف باسم «تين سيكامور» (Sycamore Fig) وينمو بكثرة فى كل من مصر وسوريا إلا أن شجرة الجميز أكبر حجما من شجرة التين البرى ، بنوعيه الكابرى والمستأنس بشكل واضح ، وتنمو إلى أحجام ضخمة للغاية ، وهى أيضا شجرة معمرة .

والتين شجرة مباركة وثمرة مباركة ، أقسم بها ربنا «تبارك وتعالى» فِي محكم كِتابه ـ وهو الغنى عنِ القسم ـ فقال «عز من قائل» : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ . وَطُورِ سِينِينَ . وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ .

وواضح الآيات القرآنية أنه التين الشائع الذى نأكله ، والزيتون المعروف الذى نأكله ونعصر منه زيته كما قال أغلب المفسرين ومنهم كل من ابن عباس والحسن ومجاهد (رضى الله تبارك

وتعالى عنا وعنهم أجمعين) ، ولكن قلة من المفسرين رأت أن فى عطف كل من مكة المشرفة التى فيها أول بيت وضع للناس ، وولد وبعث فيها خاتم الأنبياء والمرسلين (صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين) وطور سينين «وسينا ، وسيناء» وهو الجبل الذى كلم الله (تعالى) نبيه ورسوله موسى عليه السلام عنده ويعرف باسم جبل المناجاة وهو فى وسط شبه جزيرة سيناء يمكن أن يؤخذ على اعتبار أن اختيار لفظى التين والزيتون هو مجاز عن منابتهما بالأرض المباركة التى هى بلاد الشام بصفة عامة وأرض فلسطين بصفة خاصة ، وفيها مهاجر إبراهيم ومولد عيسى ومسكنه (على نبينا وعلى كل من إبراهيم وعيسى وباقى أنبياء الله ورسله أفضل الصلاة وأزكى التسليم) ، ويصبح القسم فى مطلع سورة التين كله ببقاع مباركة عظيمة ، ظهر فيها كثير من الخير والبركة بسكنى عدد كبير من أنبياء الله ورسله فيها ، وإن كانت غلبة أهل الكفر والشرك والضلال قد أغرقت هذه البلاد المقدسة اليوم فى بحر من الدماء والدمار والخراب فى ظل هيمنة العصابات الصهيونية المجرمة التى احتلت هذه الأرض بدعم من القوى الكافرة والمشركة فى العالم ، وفى غفلة من المسلمين ، ونسأل الله (تعالى) أن يعيننا على تحريرها من دنس اليهود وأشياعهم فى أقرب فرصة إن شاء الله رب العالمين .

وأغلب الأقوال على اعتبار القسم بالتين الذى نأكله وبالزيتون الذى نأكله ونعصر زيته ، لأنه صريح النص الذى لا يجوز العدول عنه إلى المجاز إلا بدليل ، والقسم جاء من الله الخالق ـ الغنى عن

القسم لعباده ـ من أجل تنبيهنا إلى المنَّة العظمى فى هاتين الثمرتين المباركتين وإلى ما فيهما من منافع جمة للخلق ، فبالإضافة إلى أن ثمرة التين جميلة المنظر ، طيبة المذاق ، حلوة الطعم ، زكية الرائحة ، سهلة الجنى والقضم والهضم ، تؤكل نية ، وجافة ، ونقيعًا ، وشرابًا ، ودبسا ، فإنها تعتبر غذاءً منشطًا ومريحًا للأعصاب ، كما يدخل التين وشرابه ، ودبسه Fig syrup فى العديد من المركبات الطبية المهمة .

ومن هنا كان هذا القول المعجز لرسول الله ﷺ «**لو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة ، لقلت التين ، لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير ، وتنفع فى النقرس . .**» .

وقد ثبت بالتحليل الكيميائى الدقيق أن ثمرة التين تحوى كمية كبيرة من الألياف (حوالى ١٨,٥٪) ، ونسبة عالية من الكربوهيدرات (فى حدود ٥٣٪) بما فيها من السكريات الأحادية ، والمركبات النشوية ونسبة من البروتينات (فى حدود ٣,٦٪) ، وأملاح العديد من العناصر من مثل البوتاسيوم ، الكالسيوم ، المغنيسيوم ، الفوسفور ، الحديد ، النحاس ، الزنك ، الكبريت ، الصوديوم ، والكلور ، بالإضافة إلى العديد من الڤيتامينات ، والإنزيمات ، والأحماض ، والمواد المطهرة ، والمواد الهلامية ، ونسبة كبيرة من الماء .

وهناك إنزيم خاص للتين يعرف باسم إنزيم التين أو إنزيم فيسين (Ficin) ثبت أن له دورًا مهمًا فى عملية هضم الطعام ، وقد تمكن اليابانيون من عزل مادة كيميائية أخرى من ثمرة التين وهى مركب كيميائى من نوع البنزالدهايد (Benzaldehyde) ثبت أن لها قدرة على مقاومة مسببات الأمراض السرطانية ، وقد استعملت تلك

المادة بالفعل فى علاج بعض الحالات المتقدمة من هذا المرض ، وقد شفيت بإذن الله شفاء تاما .

وبثمرة التين مجموعة من المركبات النشوية التى ثبت لها دور فعال فى حماية الدم من البكتيريا والڤيروسات والطفيليات العديدة التى تتسبب فى كثير من أمراض الدم مثل ڤيروس الالتهاب الكبدى ، وتعرف هذه المركبات النشوية باسم مجموعة «السورالينز» وهى موجودة بوفرة فى ثمار التين وفى دبسه ، وعصائره وأنواع المربات المصنوعة منه .

كذلك ثبت للتين فوائد عديدة فى علاج حالات البواسير والإمساك المزمن ، والنِّقْرِس وأمراض الصدر ، واضطراب الحيض ، وحالات الصرع ، وتقرحات الفم ، والتهابات اللثة ، واللوزتين والحلق ، وفى علاج البهاق ، وإزالة الثآليل ، واندمال الجروح والتقرحات لأن به مواد قاتلة للجراثيم ، ومضادة لكل من البكتيريا والفيروسات والديدان ، وبه مواد كذلك تساعد على إدرار اللبن .

وكون التين يقطع البواسير كما أشار المصطفى ﷺ فراجع غالبا إلى احتوائه على مكونات مسهلة ، وأخرى قابضة ، وأما نفعه فى حالة مرض النقرس ، فراجع إلى ما يملكه التين من قدرة على إذابة أملاح حمض البوليك المترسبة فى المفاصل ، والناتجة عن الإفراط فى أكل اللحوم الحمراء مما يؤدى إلى خلل فى تمثيل الأحماض فى داخل خلايا الجسم .

وهنا يعجب الإنسان من حديث رسول الله ﷺ الذى نحن بصدده ، والذى حدد فيه بدقة بالغة بركة ثمرة التين ، وفوائدها الجمة فى علاج مرضى البواسير والنقرس فى زمن لم يكن لأحد

من الناس حوله إدراك لشىء من ذلك ، ولا يمكن لعاقل أن يتصور لهذه المعلومات مصدرًا غير الله الخالق «سبحانه وتعالى» الذى أوحى بها إلى خاتم أنبيائه ورسله نفعا للخلق وشهادة على نبوة هذا النبى الخاتم والرسول الخاتم فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

١٨ «ما من رمانة إلا وفيها حبة من رمان الجنة»

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال :

«ما من رمانة إلا وفيها حبة من رمان الجنة» (الجامع الكبير ٧١٩/١) .

وعن ابن عباس (رضى الله عنهما) أنه كان يأخذ الحبة من الرمان فيأكلها ، قيل له : يا ابن عباس لم تفعل هذا؟ قال : «إنه بلغنى أن ليس فى الأرض رمانة إلا تلقح بحبة من حب الجنة ، فلعلها هذه» .

(رواه الطبرانى ، وقال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح) .

وعن ربيعة بنت عياض الكلابية قالت : «سمعت عليا رضى الله عنه يقول : كلوا الرمان بشحمه فإنه دباغ المعدة» .

(رواه أحمد ، وقال الهيثمى : رجاله ثقات) .

التعليق على الحديث:

تعتبر قارة آسيا هى الموطن الأصلى لأشجار الرمان حيث ينتشر فى كل من إيران وأفغانستان وباكستان ، وفى مناطق جبال الهيمالايا ومن هنالك امتدت زراعته إلى باقى دول العالم تقريبا .

والرمان ثمرة لبية شحمية ، ذات بذور عديدة منغرسة فى المادة

اللبية الموجودة بالثمرة ، والغلاف الداخلى للجدار الثمرى غشائى لحمى ، والثمرة لها غلاف جلدى سميك ، ويصل وزنها إلى أكثر من نصف الكيلو جرام ، ويصل قطرها إلى حوالى العشرين سنتيمترا ، وتحتوى على ٤٠٠ إلى ٥٠٠ بذرة .

والاسم العلمى لشجرة الرمان هو (***Punica granatum***) وهى تنتمى إلى ما يعرف باسم العائلة الرمانية (*Family Punicaceae*) وهى عائلة نباتية تتميز بأشجارها الصغيرة (أو شجيراتها) التى يتراوح ارتفاعها بين ١,٥ متر إلى ٥ أمتار ، وتضم جنسًا واحدًا هو الرمان (Punica) الذى يمثل بنوعين هما :

(***Punica protopunica, Punica granatum***)

وأوراق شجرة الرمان متقابلة ، ولا يوجد بها غدد زيتية ، وهى تخرج فى مجموعات على سيقان قصيرة ، وهى عديمة الأذينات ، وتنتهى بعض أفرع شجرة الرمان بأشواك مدببة .

وثمرة الرمان اللبية ذات الغلاف الجلدى السميك مقسمة داخليا إلى ثمانى حجرات ، وبذور الرمان مضلعة أو بيضاوية ، عديمة الإندوسبرم والجزء الذى يؤكل منها هو الطبقة الخارجية التى تحتوى على محلول حلو المذاق .

ويستخرج من كل من قلف شجرة الرمان وغلاف ثمرتها صبغة تحتوى على مركبات القانين والبلليترين ، وهى بالإضافة إلى فوائدها الصبغية ، فإنها كذلك مواد قلوية قابضة تستخدم فى دباغة الجلود ، وفى تلوين العجائن التى تستخدم فى صناعة الأسنان المستعارة .

ويبلغ وزن المادة الصالحة للأكل من ثمرة الرمان حوالى ٥٦٪ من وزنها الذى تصل نسبة الماء فيه إلى ٨٥٪ ، ونسبة السكريات (خاصة السكريات الخماسية السهلة الهضم) حوالى ١١,٦٪ ، هذا بالإضافة إلى نسب ضئيلة من الدسم ، ونسب متفرقة من أملاح البوتاسيوم ، والكالسيوم ، والمغنسيوم ، والفوسفور ، والحديد والنحاس ، والكبريت ، والكلور ، بالإضافة إلى عدد من الڤيتامينات (خاصة فيتامين جـ) ، والأحماض (خاصة حمض البوريك) .

وقد لاحظ الدارسون أن لكل من ثمرة الرمان وقشرتها خواصًا تساعد على سهولة هضم الطعام بصفة عامة والدهون بصفة خاصة ، كما أن لها فعلا قابضًا مضادًا لكل من الجراثيم والطفيليات ولذلك استخدما بكفاءة فى معالجة حالات الإسهال ، والزحار (الدوسنتاريا) ، كما استخدما كمسكنات لآلام المعدة ، وكمركبات طاردة للديدان ، خاصة نقيع قشرة الرمان بعد غليه وتبريده .

كذلك فإن لب ثمرة الرمان يهدئ من السعال ، ويستخدم كمادة صابغة تتميز بالثبات وعدم تغير اللون .

ومن الفوائد المعروفة لكل من قشرة وشحم ثمرة الرمان هو استخدامهما بعد تجفيفهما فى علاج حالات الزيادة فى حموضة المعدة ، وما قد ينتج عنها من قرح الجهاز الهضمى ، ويستخدمان كذلك فى علاج قروح الاضطجاع التى كثيرا ما تصيب قعيدى الفراش ، ويُنْصَحُ كل من الحوامل والمرضعات بعدم التداوى بنقيع قشر الرمان أو نقيع قلفه .

هذه الفوائد العديدة لشجرة الرمان ولثمرتها لخصها رسول الله ﷺ بقوله الشريف : «**ما من رمانة إلا وفيها حبة من رمان الجنة**» ، والمعنى صريح ، ولا داعى لتأويله لأن الله تعالى قادر على كل شىء ، ولكنه يحتمل أيضا معنى البركة التى أنزلها الله (سبحانه وتعالى) فى هذه الثمرة فجعل فيها هذه الفوائد الجمة .

١٩ «خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وقص الشارب...».

أخرج الإمام البخارى فى صحيحه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الفطرة خمس - أو خمس من الفطرة - : الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وقص الشارب».

(صحيح البخارى: ٥٨٨٩، ٥٨٩١، ٦٢٩٧).

والحديث أخرجه لذلك الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة بلفظه فى (كتاب الطهارة حديث رقم ٣٧٧).

وجاء أيضاً فى سنن الترمذى (كتاب الأدب حديث رقم ٢٦٨٠) بدأها بالاستحداد: «خمس من الفطرة: الاستحداد والختان..»

وفى سنن النسائى (كتاب الطهارة حديث رقم ١٠) بدأها بقص الشارب فقال: خمس من الفطرة: قص الشارب ونتف الإبط وتقليم الأظفار والاستحداد والختان».

وفى لفظ آخر قال: «خمس من الفطرة: الختان وحلق العانة ونتف الإبط وتقليم الأظفار وأخذ الشارب».

والحديث أخرجه أيضا الإمام أبو داود فى مسنده (كتاب الطهارة حديث ٤٩) عن عمار بن ياسر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من الفطرة المضمضة والاستنشاق» فذكر نحوه ولم يذكر إعفاء اللحية، وزاد: «والختان».

وأخرج الحديث أيضاً الإمام ابن ماجه فى السنن عن أبى هريرة بلفظه فى (كتاب الطهارة وسننها حديث رقم ٢٨٨) .

والحديث بلفظه ذكره الإمام أحمد فى مسنده (حديث رقم ٦٨٤٢) .

التعليق على الحديث:

هذه الخصال الخمس يمكن استعراضها فى النقاط التالية :

أولاً : **الختان** : والختان مصدر من الفعل (ختن) بمعنى قطع ، و(الختان) و(الخَتْنُ) يعنى قطع جزء مخصوص من عضو مخصوص ، ويقصد به قطع الزائد من أعضاء التزاوج مثل الجلدة التى تغطى الحشفة فى الذكر ، والبروز الزائد من البظر فى الأنثى ، حتى يتمكن كل منهما من الاستبراء من البول .

وقد أوصى رسول الله ﷺ بالختان فى هذا الحديث الشريف ، وفى غيره من مثل قوله (عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم) : **«الختان سنة للرجال مكرمة للنساء»** .

(المعجم الكبير للطبرانى : ٧١١٢ ، ٧١١٣ ، فتح البارى ١٠/١٣٥٣)

والختان بذلك من سنن المسلمين التى يرى وجوبها جمهور العلماء ، ويرى الشافعية استحبابها فى اليوم السابع من عمر الوليد ، خاصة وقد عق رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام كما رواه البيهقى .

وقد ثبتت جدوى الختان الطبية بعد دراسات مستفيضة أوضحت أن عدم الاختتان فى الذكور قد يؤدى إلى العديد من

الأمراض التناسلية كالزهرى والسيلان وإلى (سرطان الحشفة) وهو من أشد أنواع السرطانات إيلاما .

وينتج أغلب هذه الأمراض عن تجمع القاذورات و البكتريا والجراثيم والفطريات بين الحشفة والجلدة التى تغطيها (والتى تعرف باسم القلفة) والتى أمرنا المصطفي ﷺ بإزالتها بعملية الاختتان فى مراحل الطفولة الأولى ، وذلك لأن بقاء القلفة محيطة بالحشفة يكون مستنقعاً للقاذورات والنجاسات من العرق ومن إفرازات الغدد الدهنية وبقايا البول التى يصعب التطهر منها والتى تشكل مرتعاً خصباً لمسببات الأمراض على اختلاف أنواعها وأشكالها ، فضلاً عن الروائح الكريهة التى يمكن أن تنبعث منها .

وتنتقل مسببات الأمراض تلك من كل من القلفة والحشفة إلى الإحليل ومنه إلى المثانة ثم إلى الكليتين ، أو تتابع طريقها من الموثة (المعروفة باسم البروستات) إلى كل من الخصيتين والبربخ فتدمرهما تدميراًكاملاً مما قد يؤدى إلى العقم ، فضلاً عما تسببه من أمراض وآلام مبرحة . وإذا تزوج هذا المصاب فإن من المحتمل أن تنتقل أمراضه بسهولة شديدة إلى زوجته مما يسبب لها التهابات فى كل من المهبل وعنق الرحم ، وغدة برتولين بمرض يعرف باسم التهاب غدة برتولين (Bartolinitis) ، وقد يصل ذلك إلى الرحم مما قد يصيبه بالسرطان ، وقد يؤدى بالمرأة إلى العقم الكامل فضلاً عن آلام هذه الالتهابات المزمنة والحادة وتقيحاتها فى أكثر أجزاء الجسد حساسية .

وعلى ذلك فإن ختان الزوج له دور كبير فى وقايته من العديد

من الأمراض وفى وقاية الزوجة من العديد من الالتهابات فى جهازها التناسلى . وقد تنتهى هذه الالتهابات إلى عدد من الأمراض الخطيرة مثل سرطان الرحم الذى لوحظ انتشاره فى وسط البغايا بشكل مفزع .

وهناك حالات يضطر فيها المريض إلى الختان رغم أنفه طلباً للشفاء ، لا أداء للسنة مثل بعض الأمراض الخلقية كضيق القلفة ، أو التصاقها بالحشفة مما قد يسبب العديد من أمراض حصر البول . وقد لاحظ الأطباء تفاقم أمراض الجهاز التناسلى عند غير المختونين من الذكور بصفة عامة .

أما ختان الأنثى ويسمى فى الشرع «الخفض» فهو انصياع لأمر المصطفى ﷺ الذى وصفه بأنه مكرمة للأنثى ، لأن هذا الجزء من جسمها هو أكثر الأجزاء حساسية وإذا كان بارزاً بروزاً واضحاً فقد يؤدى إلى إثارتها جنسياً بشكل مرهق خاصة قبل الزواج ، كما قد يكون مدعاة لنفور واشمئزاز الزوج بعد الزواج لصعوبة إتمام عملية التزاوج .

أما إذا لم يكن هذا الجزء بارزاً بروزاً واضحاً فقد لا يكون هناك مبرر للختان والله تعالى أعلم ، ولذلك كان الختان سنة للرجال ، ومكرمة للنساء كما جاء فى حديث رسول الله ﷺ وقد أوصى ﷺ بذلك إحدى السيدات المسلمات وكان اسمها «أم عطية» ، وكانت ختانة للإناث بالمدينة المنورة حيث قال لها عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام : «**إذا خفضت فأشمى ولا تنهكى فإنه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج**» (أورده الهيثمى فى مجمع

الزوائد قائلاً : رواه الطبرانى فى الأوسط وإسناده حسن ١٧٢/٥) .

ثانياً : **الاستحداد** : وهو حلق شعر العانة ، وقد أمر به رسول الله ﷺ واعتبره من أمور الفطرة ، وتحدد الأحاديث النبوية الشريفة حداً أقصى لا يجوز للمؤمن أن يتعداه دون استحداد وهو أربعون يوماً ، وذلك لأن هذا الموضع من جسم الإنسان (ذكراً كان أم أنثى) هو من أكثر أجزاء الجسم عرضة للتلوث بمختلف الأوساخ لقربها من السبيلين وكثيراً ما يهملها الناس ويتناسونها لأنها من العورات التى تبقى مستورة مخبأة ، وفوق ذلك هى منطقة كثيرة الإفرازات الدهنية ، وغزيرة العرق مما يجعلها مرتعاً للعديد من مسببات الأمراض من الفطريات والڤيروسات والجراثيم التى قد تؤدى إلى التهابها ونتنها وتصاعد الروائح الكريهة منها ، وإلى إصابتها بالعديد من الالتهابات والأمراض الجلدية ، وأمراض الجهازين البولى والتناسلى مما قد يتعدى الأفراد إلى أزواجهم وأسرهم ومجتمعاتهم عن طريق الاستخدامات المشتركة من مثل حمامات السباحة ، والمناشف وغيرها .

وتراكم الأوساخ ومسببات الأمراض فوق العانة وحولها يستمر فى الانتشار حتى يصل إلى الإحليل فيصيبه بالالتهاب الذى قد يواصل انتشاره حتى يصل إلى المثانة ثم الحالبين ، ومنهما إلى الكليتين ويؤدى إلى تدميرهما وفشلهما فى القيام بدورهما مما ينتج عنه التسمم البولى .

ومن رحمة الله (تعالى) بعباده أنه أنبت الشعر فى تلك المنطقة من جسم الإنسان ، وأمر بحلقه بصفة دورية ، وعلى فترات متقاربة كما أوصانا رسول الله ﷺ حتى يتم تطهيرها باستمرار .

ثالثا : **نتف الإبط** : وهو من سنن الفطرة كذلك كما أوضح حديث المصطفى ﷺ الذى نحن بصدده ، وذلك لأن منطقة الإبط - مثل منطقة العانة - يكثر فيها العرق كما تكثر الإفرازات الدهنية ، فأنبت الله (تعالى) فيها الشعر كما أنبته فوق العانة ليضطر كل إنسان قريب للفطرة من حلقه على فترات متقاربة ، وبصورة دورية حتى لا يصبح مبعثا للروائح الكريهة ، ومرتعا للفطريات والفيروسات والجراثيم وهى من المسببات الرئيسية للأمراض ، وصاحب الشأن لاه عنه لأنه من المناطق المخفية فى جسمه ويجزئ فى شعر الإبط النتف ، والحلق ، والقص .

رابعا : **تقليم الأظافر** : وهو من القَلْم أى القطع ، وكل ما قطعت منه شيئا بعد شىء فقد قلمته ، واسم ما قطع منه «قلامة» ، والتقليم هو إزالة ما يزيد عن الشىء حتى يصبح صالحا لأداء مهمته ، ومناسبا للاستعمال ، وذلك كما يقلم القلم أو الشجر ، وكذلك الظفر يقلم أى يقص منه ما يزيد على ما يلامس رأس الإصبع ليظل نظيفا محافظا على سلامته وحيويته مؤديا لمهمته .

وتقليم الأظافر سنة من سنن الفطرة التى أوصى بها خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ فى الحديث الذى نحن بصدده ، وفى عدد من الأحاديث الأخرى التى منها قوله (عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم) : «**يسأل أحدكم عن خبر السماء، وهو يدع أظفاره كأظافير الطير يجتمع فيها الجنابة والخبث**» .

ومن أقواله ﷺ إلى سوادة بن الربيع رضي الله عنه : «**إذا رجعت إلى بيتك فمرهم فليحسنوا غذاء رباعتهم ، ومرهم فليقلموا أظفارهم ، ولا يعبطوا بها ضروع مواشيهم إذا حلبوا**» .

ومعنى ذلك أن الأظافر الطويلة قد تجمع تحتها من الأوساخ والجراثيم والفطريات ما يمكن أن يصل إلى ضروع الحيوانات فيؤذيها ، ويؤذى الشاربين من حليبها دون داع أو مبرر ، وذلك لأنه من الصعوبة بمكان تنظيف تلك الأظافر الطويلة بشكل مقبول .

وتقليم الأظفار يقصد به إزالة كل ما يزيد على ما يلامس رأس الإصبع من الظفر إلى حد لا يصل منه الضرر إلى الإصبع ، ويعينه على أن يظل محافظاً على سلامته وحيويته ووظيفته ، وذلك باستبعاد وجود جيوب بين الأنامل والأظفار قد تختبئ فيها الأوساخ ، ومسببات الأمراض ، التى قد تنتقل منها إلى صاحبها وإلى غيره وذلك لأن الأظافر إذا طالت فقد يصعب تنظيفها فتكون مصدرا لانتقال الأمراض ولانتشار الروائح الكريهة ، هذا فضلاً عن كونها من أسباب إعاقة الحركة الفطرية الحرة لأصابع اليد وأطراف الأنامل .

والأمراض التى تنقلها الأظافر الطويلة قد تنتقل إلى صاحبها عن طريق الفم وإلى غيره عن طريق الملامسة ، بالمصافحة أو تقديم الطعام والشراب ، كما قد تكون مصدراً للتسمم عند ملامسة المواد السامة ، أو النجاسات ، أو الإصابة بالجروح والتسلخات أو إحداثها بالغير ، أو التسبب فى الحوادث الخطيرة التى قد تنجم عن إضعاف القدرة على الإمساك بالأشياء نظراً لإضعاف الأداء الوظيفى للأنامل .

هذا بالإضافة إلى إمكانية تقصف الأظافر عند إطالتها ، أو إصابتها بالرضوض نتيجة اصطدامها مما قد يؤدى إلى خلخلتها

الجزئية أو الكاملة ، أو إلى تورمها مما يؤدى إلى إنتانها ونزيفها وتضخمها ، أو لانتشار الفطريات فيها . ويظهر ذلك فى الإناث اللائى انبهرن بتقليد الغربيات فتسابقن فى إطالة أظافر اليدين والرجلين ، وفى صبغهما بالعديد من المركبات الكيميائية المدمرة للأظافر مثل الطلاء ، واستخدام المصلدات ، أو زرع الأظافر المصنعة وتثبيتها بمختلف المواد الكيميائية مما قد يؤدى فى النهاية إلى هشاشة الأظافر وتقصفها أو تشققها أو التهابها ونزيفها وتخلخلها خاصة مع تكرار الطلاء وإزالته بالمذيبات العضوية ، فضلاً عما تسببه تلك الطلاءات من إفساد للوضوء والغسل والطهارة ، واستنشاق للعديد من المواد الكيميائية الضارة بالصحة العامة خاصة بالجهاز التنفسى والعينين .

ومن هنا كانت وصية رسول الله ﷺ أن تقليم الأظافر من الفطرة التى فطر الله (تعالى) الناس عليها ، وأمر أنبياءه ورسله بها ، ووصاهم بتوجيه الناس إليها .

وانطلاقاً من ذلك حرصت تعليمات رسول الله ﷺ على أن يكون تقليم الأظافر عملاً دورياً مستمراً على فترات متقاربة مرة كل أسبوع استكمالاً للطهارة والنظافة ، واسترواحاً للنفس ، وقد رخص فى ذلك بمدة أقصاها أربعون يوماً ، ولا عذر لتركه بعد ذلك لحديث أنس رضي الله عنه الذى قال فيه : «**رخص لنا النبى فى قص الشارب ، وتقليم الأظافر ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، ألا يترك أكثرمن أربعين ليلة**» (أخرجه كل من الإمامين أحمد ، وأبو داود وغيرهما من رجال الحديث) .

خامساً : **قص الشارب :**

أخرج كل من البخارى ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، ومالك ، وأحمد ، وغيرهم عن ابن عمر (رضى الله عنهما) عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**احفوا الشوارب واعفوا اللحى**» .

وفى رواية أخرى : «**خالفوا المشركين ، ووفروا اللحى ، واحفوا الشوارب**» .

وفى رواية ثالثة : «**أنهكوا الشوارب وأعفوا اللحى**» (صحيح البخارى : ٥٨٩٣) وفى رواية عن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**جزوا الشوارب وأرخوا اللحى ، خالفوا المجوس**» ، وواضح الأمر أن إعفاء اللحية واجب وكذلك قص الشارب لأن طول الشارب وهو فى أسفل الأنف ، وفوق الفم يعرضه لمفرزاتهما من اللعاب والنخام مما قد يلوثه بتلك الإفرازات وبقايا الطعام والشراب ، ويصعب تنظيفه وتنظيفهما مما يجعله ويجعلهما مرتعاً للأوساخ والفطريات والجراثيم ومنبعا للروائح الكريهة التى تؤذى صاحب الشارب نفسه وتسبب له الأمراض ، كما تؤذى كل من يقترب منه لتعرضه للروائح الكريهة ولسيل من مسببات الأمراض كلما تثاءب صاحب الشارب الطويل أو عطس ، أو حتى فتح فمه بكلام ما . ومن هنا كان من وصايا رسول الله ﷺ قص الشارب أو إحفاؤه مرة كل أسبوع استكمالاً للنظافة والطهارة ، واسترواحاً للنفس ، فإن قذارة الجسم تولد ضيقاً وكآبة ، وقد أمر المصطفى ﷺ ألا يترك القيام بذلك لأكثر من أربعين ليلة

لحديث أنس رضي الله عنه الذى قال فيه : **«وقت لنا النبى ﷺ فى قص الشارب ، وتقليم الأظافر ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، ألا يترك أكثر من أربعين ليلة»** .

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **«من لم يأخذ من شاربه فليس منا»** رواه كل من أحمد (١٩٢١٢) والنسائى (٢٥٠٦٢) والترمذى (٢٩٠٩) .

من هذه السلوكيات الخمسة يتضح أن رسول الله ﷺ قد وضع أسس الطهارة البدنية الكاملة ، فلم يترك مكاناً فى الجسد أو لغيرهما من مسببات الأمراض أو بواعث الروائح الكريهة إلا أمر بنظافته وتطهيره ؛ خاصة تلك الأماكن التى يمكن أن تكون مجمعاً للأوساخ و القاذورات ، أو للجراثيم والفطريات ، فإذا أضفنا إلى تلك السلوكيات الوضوء فى اليوم والليلة خمس مرات ، والغسل من الجنابات اتضح معنى الطهارة التى يرتضيها ربنا (تبارك وتعالى)من عباده الصالحين ، واتضح سبق المصطفى ﷺ لكل المعارف الطبية والوقائية الحديثة فى الإشارة إلى تلك الضوابط الصحية والوقائية الخمس بآلاف السنين ، فصلى الله وسلم وبارك على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ، ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

٢٠ «إنه خلق كل إنســان من بنى آدم على ستين و ثلاثمائة مفصل...».

أخرج الإمام مسلم فى صحيحه عن أم المؤمنين السيدة عائشة (رضى الله عنها) أن رسول الله ﷺ قال : «إنه خُلق كل إنسان من بنى آدم على ستين وثلاثمائة مفصل ، فمن كبّر الله ، وحمد الله ، وسبح الله ، واستغفر الله ، وعزل حجراً من طريق الناس ، أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس ، وأمر بمعروف ، ونهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة سلامى فإنه يمشى يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار» (صحيح مسلم : (١٠٠٧ ، ٦٩٨/٢) . وفى رواية أخرى للحديث أخرج الإمام البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «كل سلامى من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة ، وتعين الرجل على دابته فتحمله عليها ، أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة» . (صحيح البخارى : ٢٧٠٧ ، ٢٨٩١ ، ٢٩٨٩) .

وروى الأئمة الكرام مسلم ، وأبو داود ، وأحمد وغيرهم عن بريدة رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «فى الإنسان ستون

وثلاثمائة مفصل فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة» .

كما رووا عن أبى ذر رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : **«يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن المنكر صدقة ، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى»** .

و(السلامى) هى المفصل ، وهى اسم للواحد وللجمع معاً ؛ وقيل إن (السلامى) و(السُّلاميات) هى فى الأصل عظام الأصابع وسائر الكف ، ثم استعملت للتعبير عن جميع عظام البدن ومفاصل تلك العظام ، والمفاصل هى مواضع التقاء العظام بعضها مع بعض ، وأغلب هذه المفاصل متحرك ولكن بعضها ثابت كمفاصل الجمجمة .

والحديث أخرجه الإمام أبو داود فى سننه (كتاب الأدب : حديث رقم ٤٥٦٣) بلفظ : عن بريدة : **«فى الإنسان ثلاث مائة وستون مفصلاً فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منه بصدقة . قالوا : ومن يطيق ذلك يا نبى الله؟ قال : النخاعة فى المسجد تدفنها والشىء تنحيه عن الطريق فإذا لم تجد فركعتا الضحى تجزئك»** .

وبنفس اللفظ أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (حديث رقم ٢١٩٢٠) .

التعليق على الحديث:

واضح من حديث رسول الله ﷺ أن المقصود بالسلامى هى

المفاصل التى يمكن للعظام أن تتحرك عبرها . ومن معانى الحديث الشريف أن على المسلم أن يقدم الشكر لله (تعالى) على ما وهبه من هيكل عظمى منتصب القامة مستقيم ، ميزه الله (تعالى) به عن جميع الخلائق ، وكونه من عدد هائل من العظام الكبيرة والدقيقة والغضاريف ، وجعل بين كل عظمتين منها مفصلاً يتيح لهذا العدد الهائل من العظام حماية الأجزاء اللينة من جسم الإنسان ودعمها ، وأعطاه فى نفس الوقت قدراً من مرونة الحركة تسمح للإنسان بالوقوف ، والجلوس ، والاضطجاع ، والانحناء ، والتثنى ، والبسط والقبض وغير ذلك من الحركات التى مكنت الإنسان من العديد من المهارات ، ومن قبيل الشكر لله (تعالى) الخالق البارئ المصور فإن على كل مسلم عابد لله وشاكر لأنعمه أن يقدم عن كل مفصل من تلك المفاصل صدقة فى كل يوم يصبح فيه ، تقديراً لهذه النعمة الكبرى ، و تعبيراً عن شكر الله (سبحانه وتعالى) عليها ، والتى بدونها ما كان من الممكن للإنسان أن يستمتع بوجوده فى هذه الحياة ، وتعظيماً لروعة الخلق فى تصميم تلك العظام ومفاصلها بهذه الدقة الفائقة التى تشهد لله الخالق بطلاقة القدرة ، وبديع الصنعة ، وإحكام الخلق .

والأمر المعجز فى هذا الحديث أن يذكر فيه المصطفى ﷺ عدد مفاصلٍ جسم الإنسان بهذا التحديد الدقيق (ثلاثمائة وستون مفصلاً) فى زمن لم يكن متوفرًا فيه للإنسان أدنى علم بتشريح جسم الإنسان ، أو أدنى معرفة بعدد عظام هيكله ، وعدد المفاصل فيه ، وذلك من قبل ألف وأربعمائة سنة ، وفى بيئة بدوية لا تعرف العلم ولا التحقيق ولا التدوين . .!! حدث هذا فى أوائل القرن

السابع الميلادى ، ونحن الآن فى أوائل القرن الحادى والعشرين ، والغالبية الساحقة من الناس لا تعرف عدد المفاصل فى جسد كل منهم ، بل إن عدداً كبيراً من أساتذة طب وجراحة العظام فى مطلع القرن الحادى والعشرين لا تعرف بالضبط عدد العظام أو عدد المفاصل فى جسم الإنسان ، وقد سألت عدداً منهم فتراوحت إجاباتهم بين المائتين والثلاثمائة عظمة ، وبين المائة والثلاثمائة مفصل .

كذلك فإن عدداًكبيراً من دوائر المعارف العالميةإما يهرب بوضوح من تحديد عدد العظام والفواصل فى الهيكل العظمى للإنسان ويضعها فى مجموعات كبيرة كما فعلت دائرة المعارف البريطانية التى جمعت عظام وفواصل هيكل الإنسان فى مجموعات ثلاث دون تحديد هى :

(١) الهيكل المحورى ويشمل العمود الفقرى ومعظم الجمجمة .

(٢) والهيكل الأحشائى ويشمل القفص الصدرى والفك السفلى ، وبعض أجزاء الفك العلوى .

(٣) والهيكل الطرفى : ويشمل عظام الحوض وأحزمة الأكتاف وعظام وغضاريف الأطراف .

وذكرت دائرة معارف «هتشنسون» (The Hatchinson Ency-clopedia) المنشورة فى سنة ١٩٩٥م أن مجموع عدد العظام فى الهيكل العظمى للإنسان هو (٢٠٦) فقط .

ولكن الدكتور حامد أحمد حامد ذكر فى كتابه المعنون بالعنوان الجميل : «**رحلة الإيمان فى جسم الإنسان**» أن عدد المجموع الكلى للمفاصل فى جسم الإنسان هو بالضبط ثلاثمائة

وستون مفصلاً كما قرره رسول الله ﷺ من قبل ألف وأربعمائة سنة ، وأوضح الدكتور حامد تفصيل هذا العدد على النحو التالى :

أولاً : بالعمود الفقري ١٤٧ مفصلاً كما يلى :

٢٥ مفصلاً بين الفقرات

٧٢ مفصلاً بين الفقرات والأضلاع

٥٠ مفصلا بين الفقرات عن طريق اللقيمات الجانبية

ثانياً : بالصدر ٢٤ مفصلا كما يلى :

٢ مفصل بين عظمتى القص والقفص الصدرى

١٨ مفصلا بين القص والضلوع

٢ مفصل بين الترقوة ولوحى الكتف

٢ مفصل بين لوحى الكتف والصدر

ثالثاً : بالطرف العلوى ٨٦ مفصلاً كما يلى :

٢ مفصل بين عظام الكتفين

٦ مفاصل بين عظام الكوعين

٨ مفاصل بين عظام الرسغين

٧٠ مفصلا بين عظام اليدين

رابعاً : بالطرف السفلى ٩٢ مفصلاً كما يلى :

٢ مفصل للفخذين

٦ مفاصل بين عظام الركبتين

٦ مفاصل بين عظام الكاحلين

٧٤ مفصلا بين عظام القدمين

٤ مفاصل بين عظام الركبة

خامساً : بالحوض ١١ مفصلاً كما يلى :

٤ مفاصل بين فقرات العصعص

٦ مفاصل بين عظام الحق

١ مفصل الارتفاق العانى

المجموع : ١٤٧ + ٢٤ + ٨٦ + ٩٢ + ١١ = ٣٦٠ مفصلاً

وهذه المفاصل المتحركة فى جسم الإنسان والتى تعطى لهيكله العظمى ومن ثم للجسم كله القدرة على الحركة بمرونة عالية هى المقصودة بتعبير السلامى ، أما الفواصل الثابتة كتلك الموجودة بين عظام الجمجمة فلا تدخل فى عداد السلامى التى هى المفاصل التى تتم عبرها حركة حرة للعظام . وتعرف السلامى أيضًا باسم «المفاصل الزليلية» لاحتوائها على سائل يعين على انزلاق العظام دون ارتطامها ببعضها البعض يعرف باسم «السائل الزليلى» . ومن أوضح أمثلة المفاصل الزليلية مفصل الورك وهو مفصل كروى يتكون من نهاية عظمية كروية تملأ تجويفاً فى الحوض يشبه القلنسوة تتحرك فيه عظمة الفخذ بسهولة ويسر مما يسهل حركة كل واحد من الساقين فى حركة تراوحية مرنة فى عدة اتجاهات لم تكن ميسرة بغير ذلك البناء العجيب الذى أوجده الخالق (سبحانه وتعالى) . كذلك يعمل مفصل الركبة عمل البكرة مما يمكن الإنسان من ثنى ساقه فى سهولة ويسر .

أما مفاصل المعصمين فهى مفاصل انزلاقية ، السطوح المتلامسة فيها مسطحة بحيث تمكن العظام المتلاقية عندها من الحركات الجانبية ، كما تتحرك من الأمام إلى الخلف .

والمفصل بين الفقرتين العلويتين له بناء خاص يمكن الإنسان من إدارة رأسه من جانب إلى آخر بسهولة ويسر وذلك بدوران النهاية الكروية لإحدى الفقرتين داخل تجويف كروى فى الفقرة الأخرى .

والهيكل العظمى للإنسان يشمل مجموعة العظام التى تدعم

جسمه ، وتعطيه شكله ، وتحمى أجهزته والأجزاء اللينة والحساسة فيه ، كما يوفر سطوحاً صلبة تنبنى عليها العضلات .

ولولا الفواصل التى هيأها ربنا (تبارك وتعالى)لتتحرك غالبية عظام الهيكل الصلب للإنسان عبرها ما استطاع الإنسان مجرد الحركة ، ولو تعطل مفصل واحد لعانى الإنسان من عطله آلاماً عديدة وواجه مشاكل ومصاعب جمة .

من هنا كانت وصية رسول الله ﷺ للإنسان بضرورة شكر الله تعالى فى كل يوم تطلع فيه الشمس عليه بعدد هذه السلامى فى جسده على الأقل إن لم يكن أكثر من ذلك ، فمهما قدم الإنسان من ذكر وشكر وصدقات فإنه لا يمكن أن يوفى شكر الله (تعالى) ولو على سلامى واحدة من الثلاثمائة والستين سلامى التى خلقها ربنا (تبارك وتعالى) فى جسده .

والسؤال الذى يفرض نفسه : من غير الله الخالق يمكن أن يكون قد علم سيدنا محمدًا ﷺ أن كل إنسان قد خلق على ستين وثلاثمائة مفصل؟ ومن الذى كان يمكن أن يضطره للخوض فى أمر غيبى كهذا؟ لولا أن الله (تعالى) قد أيده بعلم من عنده سابق لعلوم كل البشر ، ليبقى هذا العلم الذى أنزله ربنا (تبارك وتعالى) فى محكم كتابه ، أو ألهمه خاتم أنبيائه ورسله ﷺ فذكره فى حديث صحيح منسوب إليه كهذا الحديث الشريف الذى نحن بصدده شاهداً له بالنبوة والرسالة إلى يوم الدين ، فصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

٢١ «إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه، فإن فى أحد جناحيه داءً وفى الآخر شفاءً».

أخرج الإمام البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه، فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء**» .

(صحيح البخارى : ٣٣٢٠ ، ٥٧٨٢) .

والحديث أخرجه الإمام النسائى عن أبى سعيد الخدرى (حديث رقم ٤١٨٩) بلفظ «**إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليمقله**» .

وأخرجه أيضا الإمام أبو داود فى سننه كتاب الأطعمة حديث رقم ٣٣٤٦ عن أبى هريرة .

وكذلك جاء الحديث فى سنن الإمام ابن ماجه كتاب الطب حديث ٣٤٩٥ عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : «**فى أحد جناحى الذباب سم وفى الآخر شفاء فإذا وقع فى الطعام فامقلوه فيه فإنه يقدم السم ويؤخر الشفاء**» . والمقل هو الغمس من «مقل» الشىء (يمقله) ، (مقلا) .

وجاء أيضاً فى مسند الإمام أحمد عن أبى هريرة (حديث رقم ٦٨٤٤) .

وفى سنن الدارمى (كتاب الأطعمة حديث رقم ١٩٥١) عن أبى هريرة كذلك بلفظ : «**إذا سقط الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه**

كله ثم لينزعه فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء» . كما جاء الحديث فى العديد غير ذلك من كتب السنة .

التعليق على الحديث:

هذا الحديث الشريف رواه أيضاً كل من الأئمة أبو داود ، والبيهقى ، والنسائى ، وأحمد ، وابن ماجه ، والدارمى ، وابن حبان ، وابن خزيمة ، وغيرهم .

وزاد أبو داود فى روايته **«وإنه يتقى بجناحه الذى فيه الداء»** .

ومن معانى الحديث الشريف أن الذبابة تحمل فى أحد جناحيها داءً وفى الجناح الآخر شفاء من هذا الداء ، فإذا وقعت الذبابة على شراب أو طعام فإنها تدفع بجناحها الذى فيه الداء كنوع من أنواع الدفاع عن ذاتها .

ويذكر الإمام ابن حجر العسقلانى فى شرح هذا الحديث أن الذباب يتقى بجناحه الأيسر مما يشير إلى أن جناحه الأيمن هو الذى فيه الشفاء بناء على ملاحظة أحد الدارسين ، فإذا تم غمس الذبابة فيما وقعت عليه فإن عوامل الشفاء تقضى على عوامل الداء بإذن الله .

وقد امتعض بعض الناس من إمكانية غمس الذبابة فى شراب أو طعام ثم يتناوله الإنسان ، ونسى هؤلاء أن ذلك فى حالات الضرورة القصوى ، كأن يكون الإنسان فى قلب الصحراء ولا يملك إلا هذه الكأس من الماء أو غيره من الشراب ، وقد يوشك على الهلاك إذا فقده ، فدرءاً للخطرين : خطر الهلاك من الجوع والعطش

أو خطر الهلاك بما أنزل الذباب فى شرابه من جراثيم وبكتيريا وڤيروسات فإن الحديث الشريف يشير إلى غمس الذبابة فى الشراب حتى يتقى بمقومات الشفاء فى أحد جناحى الذبابة ما فى جناحها الآخر من داء .والذى لا تقبل نفسه ذلك فلا يوجد ما يضطره إليه ، أو يجبره عليه ، ولا يجوز له أو لغيره أن ينطلق إلى التشكيك فى صحة الحديث الشريف لمجرد أن نفسه عافت شراباً غمس فيه الذباب وهو المعروف بقذارته وحمله للكثير من مسببات الأمراض ، وذلك لأن الحديث سنده صحيح كما أثبت الإمام البخارى ، ومتنه صحيح أيضاً ، أولاً بثبوت نسبته إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ، ولثبوت صحته من الناحيتين العلمية والتطبيقية .

فمن الناحية العلمية ثبت أن الذباب وهو من الحشرات شائعة الانتشار على سطح الأرض (إذ يمثل بحوالى ٨٧٠٠٠ نوع) يتغذى على النفايات وما بها من المواد العضوية المتعفنة ، وفى هذه النفايات تنتشر الجراثيم والبكتيريا والڤيروسات وغيرها من أنواع الميكروبات .

والبكتريا هى كائنات حية فائقة الدقة ، توجد فى مختلف بيئات الأرض وبأعداد تقدر بالبلايين فى جرام من التربة الزراعية ، وبالملايين فى قطرة من قطرات اللعاب ، ولذلك فإن أثر البكتريا فى النطاق الحيوى للأرض لا يمكن حصره ، ولا يمكن تجاهله ، فبدون هذه الأعداد المهولة من البكتيريا لم يكن ممكنا للتربة الزراعية أن تنبت ، وإذا لم تنبت التربة لم يكن ممكنا لكل من الحيوان أو الإنسان أن يتواجد على الأرض . ومعظم البكتريا حميدة ، ولكن بعضها من مسببات الأمراض .

أما القيروسات فهى فى حقيقتها أحماض نووية تفرزها بعض الخلايا الحية ، إلا أن الله (تعالى) قد أعطاها القدرة على إحاطة نفسها بغلاف بروتينى لتشكل كائناً مستقلاً اسمه «الوحدة القيروسية» ، وهذه الوحدة القيروسية تستطيع اختراق ما يمكن أن تصل إليه من خلايا حية وتحفزها على إنتاج قيروسات جديدة ، أو تقتلها ، وعلى ذلك فإن القيروسات مسئولة عن العديد من الأمراض التى تصيب كلاً من النبات والحيوان والإنسان .

وتعرف القيروسات التى تصيب الخلايا البكتيرية باسم القيروسات البكتيرية أو «عاثية البكتيريا» (Bacteriophage) ، ويسمى القاتل فيها باسم القيروسات البكتيرية القاتلة أو «عاثية البكتريا القاتلة» (Virulent Bacteriophage) ، وتسمى غير القاتلة منها باسم القيروسات البكتيرية المعتدلة أو «عاثية البكتيريا المعتدلة» (Temperate Bacteriophage) .

ومن طلاقة القدرة الإلهية أن الله (تعالى) خلق كل شىء في الكون من زوجية واضحة حتى يبقى الله سبحانه وتعالى متفرداً بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه ، ويبقي الخلق كله شاهداً لخالقه بالوحدانية المطلقة بغير شريك ، ولا شبيه ، ولا منازع ، فكما خلق الله (سبحانه) اللبنات الأولية للمادة فى زوجية واضحة ، خلق كل شىء فى زوجية واضحة ، فخلق المادة وأضدادها ، وخلق السالب والموجب ، وخلق الظلمات والنور ، وخلق البكتيريا وعاثية البكتيريا ، كما خلق الذكر والأنثى .

وعندما يقع الذباب على النفايات والأوساخ ، وما بها من مواد عضوية متعفنة مليئة ببلايين البكتيريا وأضدادها ، والقيروسات

وأضدادها ، غير ذلك من الجراثيم وأضدادها ، فإن الله (تعالى) قد أعطى لهذه الحشرة الضئيلة القدرة على أن تحمل الجرثومة على جناح ، وأضدادها على الجناح الآخر وإلا لفنيت مجموعة حشرات الذباب فناءً تاماً ، وهى ممثلة اليوم بسبع وثمانين ألف نوع ، وفى بقائها بهذه الأنواع الممثلة ببلايين الأفراد خير دليل على ذلك .

ومن الأمراض الڤيروسية التى قد تصيب الإنسان عن طريق حمل الذباب للڤيروسات ونقلها إلى طعام الإنسان أو شرابه أو بدنه ما يلى :

الرشح (الإنفلونزا) ، الحصبة ، أمراض الغدة النكافية ، الجديرى ، نفط الحمى ، الثآليل ، الجدرى ، الحمى الصفراء ، أمراض الكبد المعدى ، بعض حالات الشلل ، بعض الأورام الخبيثة ، وبعض أمراض الجهاز العصبى المركزى المزمنة بما فيها مرض التصلب المركب (Multiple Seclerosis) .

كذلك تسبب الڤيروسات العديد من الأمراض للحيوانات من مثل الأنعام ، والدواب ، والطيور الداجنة ، وذلك من مثل أمراض التهاب الدماغ ، والحمى القلاعية ، وطاعون الطيور ، وبعض هذه الأمراض يمكن أن ينتقل إلى الإنسان عن طريق الحيوان المصاب .

ومن بين المحاصيل الزراعية التى يمكن أن تدمرها الإصابة بالڤيروسات محاصيل البطاطس ، والطماطم ، والموز ، وقصب السكر وغيرها .

والڤيروس البكتيرى القاتل يقضى على الخلية التى يصيبها قضاءً تاماً فى زمن قياسى ، أما الڤيروس البكتيرى المعتدل فيبقى على الخلايا المصابة به حية و ذلك باكتسابها مناعة ضد نفس

النوع من القيروسات أو بإنتاج وحدات قيروسية جديدة من مثله ، ولعل هذا يفسر حمل الذباب داءً على أحد أجنحته ودواءً على الجناح الآخر .

ومن الناحية التطبيقية قامت مجموعات من الباحثين المسلمين فى كل من مصر والمملكة العربية السعودية بإجراء عدد من التجارب على مجموعة من الآنية تحمل ماءً ، وعسلا ، وعدداً من العصائر المختلفة ، فى تكرار متواز ، وتركت تلك الآنية مكشوفة للذباب كى يقع عليها ، وفى بعضها غمس الذباب ، وفى مثيلاتها لم يغمس . وعند الفحص المجهرى اتضح أن الشراب الذى لم يغمس فيه الذباب . قد أصبح مليئا بالجراثيم والميكروبات ، والذى غمس فيه الذباب خال تقريبًا من ذلك .

وقد جاء فى كتاب «الإصابة فى صحة حديث الذبابة» لمؤلفه الدكتور خليل إبراهيم ملا خاطر أن مجموعة من علماء الأحياء بجامعتى الملك عبد العزيز والقاهرة قد قاموا بدراسات مختبرية لتحقيق الفرق بين تأثير السقوط والغمس للذبابة المنزلية على تلوث الماء والحليب والأغذية بالميكروبات والجراثيم ، وقد ثبت بالتجارب التى كررت لعشرات المرات أن غمس الذباب فى السوائل من مثل الماء والحليب والعصائر وفى غيرها من المطعومات قد أدى إلى انخفاض واضح فى كم الميكروبات عنه فى مثيلاتها التى تُرك الذباب يسقط عليها ثم يغادرها ، أو انتزع منها دون أن يغمس فيها . مما يوحى بإن غمس الذباب فى السوائل المدروسة قد أدى إلى إبراز عوامل مضادة للميكروبات .

وكانت هذه النتائج أكثر وضوحا فى حالات تربية عينات من السوائل المدروسة على بيئة الآجار المغذى حيث كان الانخفاض فى الأعداد الكلية للميكروبات النامية على الآجار فى حالات الغمس يقابله تزايد رهيب فى الأعداد الكلية للميكروبات المحتضنة على الآجار فى حالات النزع أو الابتعاد بالطيران بعد السقوط على السوائل المدروسة مما أشار إلى أن غمس الذبابة المنزلية فى مختلف أنواع السوائل المدروسة لا يؤدى فقط إلى تقليل أعداد الميكروبات ولكن يحد أيضا من نموها .

كذلك أوضحت الدراسة أن التناقص فى الأعداد الكلية للميكروبات الملوثة كان أشد فى الأوساط الحامضية عنها فى الأوساط المتعادلة .

وقد أثبتت هذه الدراسة ما يلى :

١ ـ وجود أعداد كبيرة من الكائنات الحية المجهرية على أجزاء من جسم الذبابة المنزلية منها مسببات للعديد من الأمراض من مثل الڤيروسات والميكروبات ، والجراثيم ، والفطريات ، وبعض الطفيليات الدقيقة ، وغيرها .

٢ ـ وجود عوامل مثبطة لنمو تلك الكائنات الحية المجهرية على أجزاء أخرى من نفس جسم الذبابة المنزلية تظهر عند غمس الذبابة فى السوائل التى تقع عليها ، وهذه العوامل المثبطة تقلل من عدد الجراثيم فى المشروبات والمطعومات التى يقع عليها الذباب إذا غمس فيها وتحد من تكاثرها ونموها .

٣ ـ إن تأثير عملية الغمس على الكائنات الحية الدقيقة

المسببة للأمراض هى أعلى منها على المجموع الكلى لتلك الكائنات ، ومنها ما هو حميد .

٤ ـ إن فعالية العوامل المثبطة للكائنات المسببة تزداد فى الأوساط الحامضية المشابهة لحموضة دم الإنسان عنها فى الأوساط المتعادلة .

٥ ـ إذا ترك الذباب يقع على المشروبات والمطعومات ثم يطير عنها ، أو ينزع منها دون أن يغمس غمسا كاملا فيها يؤدى إلى تلوث تلك المشروبات والمطعومات بأعداد هائلة من الكائنات الحية الدقيقة المسببة للأمراض . ولكن إذا غمست الذبابة فى السوائل أو المطعومات المستخدمة فى التجربة فإن أعداد تلك الكائنات الحية المجهرية تتناقص تناقصا ملحوظا إلى الحد الذى يجعل من شربها أو أكلها نوعا من التطعيم ضد العديد من مسببات الأمراض .

وهذه النتائج تؤكد صدق حديث رسول الله ﷺ الذى قال فيه : «**إذا وقع فى إناء أحدكم فليغمسه كله ، ثم ليطرحه ، فإن فى أحد جناحيه شفاء ، وفى الآخر داء**» .

والسؤال الذى يطرح نفسه هو من غير الله الخالق يمكن أن يكون قد علم خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ أن الذباب يحمل على أحد جناحيه داء ، ويحمل على الآخر الدواء ، وذلك قبل ألف وأربعمائة سنة؟ واكتشاف حقيقة الأضداد الحيوية لم تعرف إلا فى القرن العشرين ، وحقيقة البكتيريا وأضدادها من الفيروسات البكتيرية لم تكتشف إلا منذ عقود قليلة؟

ولماذا قال رسول الله ﷺ هذا الحديث الشريف الذى أثار جدلاً طويلاً بين المسلمين وغير المسلمين؟ ومن كان يدرك شيئاً من هذا العلم فى زمانه أو حتى على مدى قرون متطاولة من بعده؟

ومن كان يمكن أن يضطره إلى الخوض فى أمر غيبى كهذا؟ لولا أن الله (تعالى) قد ألهمه إياه، وأنطقه هذا الحديث ليبقى وسيلة من وسائل استنقاذ شراب أو طعام فى ساعات الضرورة، ويبقى حجة على أهل عصرنا من المسلمين وغير المسلمين، حجة شاهدة لهذا الرسول الخاتم والنبى الخاتم ﷺ بالنبوة وبالرسالة التى أنكرها كثيرمن الكفار والمشركين والضالين فى زمانه وإلى قيام الساعة رغم وضوح الحجة، وكثرة الأدلة ولكن أكثر الناس لا يعلمون . . .!!

٢٢ «من علامات الساعة «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان».

أخرج الإمام ابن ماجة فى سننه (كتاب المقدمة حديث رقم ٦٢) عن ابن عمر عن عمر (رضى الله عنهما) . ورواه أيضاً بلفظ آخر عن أبى هريرة قال : «كان رسول الله ﷺ يوماً بارزاً للناس فأتاه رجل فقال : يا رسول الله ، متى الساعة؟ فقال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ولكن سأخبرك عن أشراطها : إذا ولدت الأمة ربتها فذاك من أشراطها وإذا كانت الحفاة العراة رءوس الناس فذاك من أشراطها ، وإذا تطاول رعاء الغنم فى البنيان فذاك من أشراطها فى خمس لا يعلمهن إلا الله . فتلا رسول الله ﷺ : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ﴾ الآية . . وهذا اللفظ أورده الإمام البخارى فى صحيحه (كتاب تفسير القرآن حديث رقم ٤٤٠٤) عن أبى هريرة أيضاً .

وجاء أيضاً فى صحيح مسلم (كتاب الإيمان حديث رقم ١٠) عن أبى هريرة بلفظه .

وذكره الإمام أحمد فى مسنده (حديث رقم ١٧٩ ، ٣٤٦) عن عمر بن الخطاب بلفظه .

وأخرجه الإمام الترمذى فى سننه (كتاب الإيمان حديث ٢٥٣٥) عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وقال : حديث حسن صحيح .

وجاء أيضاً فى سنن النسائى (كتاب الإيمان وشرائعه حديث رقم ٤٩٠٤) عن عمر بن الخطاب . ورواه أيضاً عن أبى هريرة وأبى ذر (حديث رقم ٤٩٠٥) .

وورد الحديث كذلك فى سنن أبى داود (كتاب السنة حديث رقم ٤٠٧٥) عن عبد الله بن عمر عن عمر بن الخطاب (رضى الله عنهما) .

التعليق على الحديث:

ذكر الأئمة الكرام أبو داود ، وابن ماجة ، وأحمد ، والبخارى ، والبغوى ، والبيهقى ، والترمذى ، ومسلم ، والنسائى وغيرهم حديثاً مطولاً رواه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن زيارة سيدنا جبريل - عليه السلام - لسيدنا رسول الله ﷺ وجمع من الصحابة الكرام عنده فيهم الصحابى الجليل الفاروق عمر بن الخطاب الذى خلف خليفة رسول الله من بعد ، قال : **«بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبى ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد، أخبرنى عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ : «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً». قال: صدقت. فعجبنا له يسأله و يصدقه، قال:**

فأخبرنى عن الإيمان. قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». قال: صدقت. قال: فأخبرنى عن الإحسان. قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». قال: فأخبرنى عن الساعة. قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل». قال: فأخبرنى عن أماراتها. قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان». ثم انطلق فلبثت ملياً ثم قال: «ياعمر أتدرى من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» .

ومن معانى «يتطاولون فى البنيان» أن كل قادر يحاول أن يزيد فى ارتفاع بنيانه الذى يبنيه حتى يكون أعلى من غيره ، فى منافسة زائفة لا نهاية لها ، ولا هدف من ورائها غير التفاخر والتطاول ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . والتطاول فيه معنى المنافسة ، والمباهاة ، والتفاخر ، وهو أكثر من التطويل .

وفى هذا الحديث الشريف ذكر المصطفى ﷺ نبوءتين من أشراط الساعة تحققتا بالكامل فى العقود المتأخرة من القرن العشرين وما كان أحد يمكن لهُ أن يتخيل ـ مجرد تخيل ـ إمكانية وقوعهما : والنبوءة الأولى منهما : **«أن تلد الأمة ربتها»** .

ومن معانى هذه النبوءة النبوية الشريفة أن يسود العالم حثالات البشر من أبناء وبنات الإماء والعبيد ، وأبناء الزنا ومجهولى الأنساب الذين وصل العديد منهم إلى رئاسات عدد من الدول الحاكمة فى العالم اليوم بمعنى أن تكون الأم وضيعة الأصل ، حقيرة المنشأ ، ومعدومة التربية ، ثم يصل أبناؤها أو بناتها إلى

حكم المجتمعات وحكم الدول أو حكم العالم ، ويدعون أمهاتهم فيما هن فيه من هوان وذل وانحطاط .

وقد يكون المقصود بهذا النص النبوى الشريف أن ينتشر عقوق الوالدين ، خاصة عقوق الأمهات ، وذلك لأن لفظة «الأمة» كما تعنى غير الحرة «أى العبدة» وجمعها«إماء» ، تعنى أيضاً أيّاً من النساء ، وبذلك يعنى النص أن الناس سوف يصلون إلى زمن يفقدون فيه الاحترام الواجب للوالدين بصفة عامة ، وللأم بصفة خاصة فيعاملونها معاملة السيد للخادمة ويهدرون كل ما لها من حقوق ، وقد وصل الناس إلى هذا المستوى من نكران الجميل ، وغمط الحقوق لم يكن ممكنا لأحد أن يتصوره أبداً أبداً من قبل عقود قليلة . .!!

والنبوءة الثانية فى هذا الحديث النبوى الشريف هى :

«وأن ترى الحفاة، العراة، العالة، رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان»
وقد تطاولوا . .!!

ولا يمكن لعاقل أن يتصور مدى التطاول فى البنيان الحاصل على سطح الأرض اليوم بصفة عامة ، وفى الجزيرة العربية بصفة خاصة ، وإن جاز ذلك - وهو لا يجوز - فى دول تحتاج إلى شبر من الأرض مثل كل من اليابان وبريطانيا ، فلا يجوز أبداً فى الصحارى العربية والإسلامية الممتدة لملايين الكيلومترات المربعة الخالية من السكان ، وتكلفة بناء عمارة واحدة من هذه العمارات التى تطاولت فى الارتفاع تبنى آلاف الدور ، وتنشر العمران على الأرض ، تلطف الجو ، وتتيح الفرصة لمزيد من الزرع ، ولمزيد من

المكان لكل من الإنسان ، والحيوان ، وتخفف الضغط على البيئة ، وهى فى نفس الوقت أقل كلفة فى الإنشاء وفى الخدمة والصيانة والتأمين ضد الحرائق وغيرها من المخاطر ، والأمن فى حالات الحروب والزلازل حيث إن مثل هذه العمائر الشاهقة الارتفاع تعتبر نقاط ضعف فى حالات الحروب والزلازل لسهولة تدميرها والقضاء على من فيها . هذا غير تأثيرها السيئ على كل من البيئة والإنسان من النواحى البيئية والصحية والنفسية والاجتماعية ، فهى تعزل الناس عن بعضهم البعض ، وتقطع أو تحد من علاقاتهم ، وتشجع على العزلة الاجتماعية والفردية ، كما تشجع على الجريمة ، وتعزل الناس عن الطبيعة وتفصلهم عن الجيران .

وفى نفس الوقت تلغى الخصوصية وتحرم الأطفال من أماكن لهوهم ، وتؤدى إلى ازدحام الشوارع وإلى كثرة السيارات بها ، وإلى تلوث البيئة ، وإلى ضعف الإبصار وإلى العديد من الأمراض الأخرى .

إن كل عربى ومسلم يفرح لانتشار العمران والتقدم المادى فى بلاد العرب والمسلمين ، ولكنه فى نفس الوقت يكره النظام السائد فى الإنفاق من أجل التطاول فى البنيان فى صحارى تحتاج إلى انتشار العمران انتشاراً أفقيًا وليس امتدادًا رأسيا . . وإلا فهل يمكن لعاقل أن يصدق بنياناً يزيد ارتفاعه عن ستين طابقاً فى دولة صحراوية ، وهل لو أخبر بذلك أحد قبل خمسين سنة فقط كان من الممكن أن يصدقه أحد .

وهل يمكن لعاقل أن يبرر هذا التسابق الجنونى على التطاول فى

البنيان؟ أو يملك النظر إلى هذه الكتل الخرسانية المرتفعة لمستويات مبالغ فيها جداً دون حاجة إلى ذلك إلا أن يفسره بالرغبة للتطاول فى البنيان؟ وهل يمكن للناظر إلى القصور الباذخة ، والسيارات الفارهة ، والإسراف المخل فى كل اتجاه إلا أن يدرك حجم المؤامرة على بلادنا العربية والمسلمة لصرف إنفاقها عن الاتجاه الصحيح الذى يهدف إلى بناء الإنسان نفسيًا وروحيًا ، دينيًا ، وفكريًا ، علمياً وتقنيا ، بدنيا وعسكريًا حتى يتمكن من الدفاع عن أرضه ، وعرضه ، وماله ، ونفسه وولده ، ودينه ومقدساته ، فلا يكون وما يملك نهباً لقطاع الطريق الدوليين الجدد الذين أغرقوا بلاد العرب والمسلمين فى ترف كاذب ، وألهوهم عن بناء شعوبهم البناء الصحيح ، فى الوقت الذى طوروا هم أنفسهم علميًا وتقنيا ، وتفوقوا فى ذلك تفوقاً كبيراً ليفرضوا إرادتهم على العرب والمسلمين وعلى بقية دول العالم بحد الغلبة العسكرية الجائرة!!

ولا يملك الذى يتحرك فى أغلب دول الجزيرة العربية اليوم بل فى أغلب الدول العربية والإسلامية ، بل فى أغلب دول العالم - إلا أن يقول صدقت يا سيدى يا رسول الله ، فقد ولدت الأمة ربتها ، وقد تطاول الحفاة ، العراة ، العالة ، رعاء الشاء فى البنيان تصديقاً لنبوءتك ولنبوتك ، وإيذاناً بقرب الساعة . فصلى الله وسلم وبارك عليك وعلى آلك وصحبك ، ومن تبع هداك ودعا بدعوتك إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

٢٣ «إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك..»

هذا الحديث النبوى الشريف أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب بدء الخلق حديث رقم ٢٩٦٩) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

وأخرجه أيضاً فى (كتاب أحاديث الأنبياء حديث رقم ٣٠٨٥) بلفظ عن عبدالله بن مسعود قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق «إن أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكاً بأربع كلمات فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقى أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح فإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار» .

وبنفس اللفظ أخرجه فى (كتاب القدر حديث رقم ٦١٠٥) .

وكذلك فى (كتاب التوحيد حديث رقم ٦٩٠٠) .

والحديث أخرجه أيضاً الإمام مسلم فى صحيحه (كتاب القدر حديث رقم ٤٧٨١) عن ابن مسعود رضي الله عنه .

وذكره الإمام الترمذى فى سننه (كتاب القدر حديث رقم ٢٠٦٣) عن عبد الله بن مسعود ﷺ وقال حديث حسن صحيح وقد روى شعبة والثورى عن الأعمش نحوه .

والحديث جاء كذلك فى سنن الإمام أبى داود (كتاب السنة حديث رقم ٤٠٨٥) وأورده ابن ماجه فى سننه (كتاب المقدمة حديث رقم ٧٣) عن ابن مسعود بلفظه . وأخرجه أيضاً الإمام أحمد فى مسنده (حديث رقم ٣٧٣٨ ، ٣٤٤١ ، ٣٧٣٨ ، ٤١٢٩) .

روى الإمام مسلم فى صحيحه عن ابن مسعود ﷺ قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال : «**إن أحدكم ، يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك ، ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح و يؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأحله ، وعمله ، وشقى أو سعيد . . .**» .

التعليق على الحديث:

ومعنى هذا الحديث الشريف أن المراحل الثلاث الأولى من خلق الإنسان وهى : النطفة ، والعلقة ، والمضغة ، تكتمل خلال الأربعين يومًا الأولى من بدء عملية الإخصاب ، والملاحظات العلمية الدقيقة التى تجمعت لدى العاملين فى حقل علم الأجنة البشرية تؤكد ذلك .

وشكل المضغة لا صلة له بشكل الإنسان من قريب أو بعيد ، ولكن تبدأ المضغة فى اكتساب الشكل الإنسانى بالتدريج فى الأيام الخمسة التالية لتخلق المضغة (أى فى الفترة من اليوم الأربعين إلى الخامس والأربعين من بعد عملية الإخصاب) .

وفى اليوم الخامس والأربعين يتم تكون الأعضاء، والهيكل العظمى بصورة ظاهرة، وتستمر عملية الانقسام الخلوى والتمايز الدقيق فى الخلق بعد ذلك .

وتعبير النطفة معناه العام : القليل من الماء الذى يعدل قطرة، ويقصد به فى علم الأجنة أى من الخليتين التناسليتين للذكر وللأنثى، ويقصد به فى هذا الحديث الشريف البويضة الملقحة الناتجة عن اتحاد نطفتى الأب والأم والتى يسميها القرآن الكريم النطفة الأمشاج (أى المختلطة) . وكلمة النُّطفَةَ مفردة، ولكنها تأتى فى معنى الجمع أيضاً، ولذلك جاءت الصفة (أمشاج) بصيغة الجمع .

وتواصل النطفة الأمشاج نموها بالانقسام السريع إلى عدد من الخلايا الأصغر فالأصغر حتى تتكون كتلة كروية من الخلايا تعرف باسم التويتة (Morula) بعد أربعة أيام من عملية الإخصاب، وفى اليوم الخامس تنشطر مكونة ما يعرف باسم الحوصلة أو الكيسة الأرومية (أو كيس الأرومة) (Blastocysf) .

وفى اليوم السادس من تاريخ الإخصاب تتحرك النطفة الأمشاج المنقسمة والمتكيسة على هيئة الحوصلة الأرومية لتنغرس فى جدار الرحم وطولها فى حدود نصف المليمتر (أو إلى ٠,٦٨ مم) لتبدأ مرحلة التعلق بجدار الرحم وتعرف هذه المرحلة باسم مرحلة الغرس أو الحرث (Implantation) وتستغرق أسبوعا كاملا حتى يتم انغراس النطفة الأمشاج عديدة الانقسامات فى جدار الرحم فتنتقل من طور النطفة إلى طور العلقة .

فى اليوم الخامس عشر من عمر الجنين يظهر الشريط الأولى

على جانب العلقة التى بمجرد انغراسها فى جدار الرحم تأخذ شكل دودة العلق تماماً ، وتسلك فى طريقة تغذيتها نفس السلوك . والعلق هو الالتصاق والتعلق بشىء ما ، ودودة العلق هى دودة مائية تعيش فى البرك ، وتعلق بغيرها من الحيوانات متغذية بامتصاص دمائها ، وهو ما يفعله طور العلقة باكتمال انغراس النطفة الأمشاج النامية (المعروفة باسم الحوصلة الجرثومية) فى جدار رحم الأم وذلك فى الفترة من اليوم السادس إلى اليوم الرابع عشر من عمر الجنين وهى مرحلة الانغراس (التى يسميها القرآن الكريم باسم الحرث) حتى تنزرع تماماً فى جدار الرحم وتبدأ فى التغذى من دم الأم كما تتغذى دودة العلق على دماء الحيوانات التى تعلق بها وتتطفل عليها .

وتستغرق هذه العملية قرابة الأسبوع حتى تلتصق الحوصلة الجرثومية تماماً بجدار رحم الأم على هيئة مشيمة بدائية بواسطة ساق موصلة تصبح فيما بعد الحبل السرى ، ويكون عمر الجنين قرابة الأسبوعين ، ويتراوح طول العلقة (بين ١,٥ م ، ٣م) ويستغرق نمو الحبل الظهرى حوالى عشرة أيام (من اليوم السادس بعد الإخصاب إلى اليوم السادس عشر) ، ويأخذ الجنين مظهر العلقة الكامل فى خلال الأسبوع الثالث من بدء الإخصاب (فى الفترة من الخامس عشر إلى الخامس والعشرين) . وتتميز العلقة بظهور شق عصبى عميق ، وببداية وضوح منبت الرأس .

واستخدام حرف العطف (ثم) فى الحديث النبوى الشريف يدل على انقضاء فترة زمنية بين كل من مرحلتى النطفة والعلقة

وبالفعل يصل الجنين إلى نهاية مرحلة العلقة فى حوالى اليوم الرابع والعشرين إلى الخامس والعشرين من بدء عملية الإخصاب . و بعد ذلك بيومين (أى فى حدود اليوم السادس والعشرين من بدء الإخصاب) تتحول العلقة إلى مرحلة المضغة وذلك ببدء ظهور الفلقات الجسدية أو الكتل البدنية (Somites) التى تبدأ بفلقة واحدة ثم تتزايد إلى ما بين ٤٠ ، ٤٥ فلقة وذلك مع تمام الأسبوع الرابع إلى بداية الأسبوع السادس من بدء الإخصاب (من اليوم ٢٦ إلى ٤٢ من عمر الجنين) . وهذه الفلقات هى التى تعطى هذا الطور شكل المضغة (أى قطعة اللحم الصغيرة التى لاكتها ومضغتها الأسنان) ويستمر طور المضغة إلى نهاية الأسبوع السادس تقريباً من بدء الحمل ، ويصل طول الجنين فى نهاية هذه المرحلة إلى حوالى السنتيمتر الواحد (من ٣,٢ م إلى ١٣ م) .

ومع بداية الأسبوع السابع من بدء الحمل (فى حدود اليوم ٤٣ ـ ٤٩ من عمر الجنين) تبدأ مرحلة تكون العظام حين يبدأ انتشار الهيكل العظمى فى الجنين وذلك بعملية التكلس التدريجى للغضاريف التى تم تكونها فى مرحلة المضغة حول عدد من المنابت العضوية ومع تكون العظام يبدأ الجنين الذى يتراوح طوله بين ١٤م ، ٢٠م فى تحقيق استقامة جسده ، وبروز أطراف أصابعه وبروز حويصلات مخه .

ومع بداية الأسبوع الثامن تبدأ مرحلة تكون العضلات وكسوة العظام باللحم وعندها يتراوح طول الجنين بين ٢ ، ٣ سنتيمترات (٢٢ ملليمترًا إلى ٣١ مليمترًا) .

وبعد ذلك تبدأ مرحلة النشأة الآخرة من بداية الأسبوع التاسع إلى الأسبوع الثامن والثلاثين من حياة الجنين ، وفى خلالها تبدأ الخواص البشرية بالظهور على الجنين بالتدريج فتتم كسوة العظام بالعضلات ، وتتم تغطية العضلات بالجلد ، وتبدأ كل أجزاء الجسم فى التمايز بشكل واضح وتكون معدلات النمو بطيئة فى أول الأمر حتى بداية الأسبوع الثانى عشر ، حين يأخذ معدل نمو الجنين فى التسارع الواضح حتى لحظة الميلاد ﴿ **فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ .

ومن معانى حديث رسول الله ﷺ الذى نحن بصدده أن المراحل الثلاث من النطفة إلى المضغة تستغرق حوالى الستة أسابيع أو الأربعين يوماً وهو ما أكدته أحدث الدراسات فى مجال علم الأجنة البشرية ، وكان بعض علماء الحديث قد فهموا تلك المدة على أنها ثلاثة أضعاف ذلك (أى مائة وعشرين يوماً) لأنهم فهموا التعبير بـ (مثل ذلك) فى نص الحديث على أنها تشير إلى الفترة الزمنية المحددة بأربعين يوماً لكل مرحلة من المراحل الثلاث : النطفة ، العلقة ، المضغة ، وينفى ذلك الفهم حديث آخر لرسول الله ﷺ قال فيه : «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها ، وخلق سمعها ، وبصرها ، وجلدها ، ولحمها ، وعظامها» .

(أخرجه مسلم ، وأبوداود ، والطبرانى) .

وقد ثبت بالدراسات المستفيضة فى مجال علم الأجنة البشرية أن هذه المراحل لا تبدأ إلا مع نهاية مرحلة المضغة ، أى مع نهاية الأسبوع السادس من بدء الحمل (أى بعد ثنتين وأربعين ليلة)

وبذلك يثبت صدق إخبار رسول الله ﷺ فى الحديثين المذكورين هنا ، وفى كل حديث قاله .

ويبدو أن السبب فى التباس الأمر على بعض شراح الحديث الأول هو سقوط التعبير بـ (فى ذلك) قبل كل من لفظ علقة ومضغة عند بعض رواة الحديث ، وقد جاءت الرواية كاملة عند الإمام مسلم ، لتؤكد أن معنى التعبير (مثل ذلك) فى حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه لا يمكن أن يكون مثلية فى الزمن أى فى أربعينيات الأيام ، بل فى جمع الخلق .

والسؤال الذى يفرض نفسه هنا هو : من غير الله الخالق يمكن أن يكون قد أخبر سيدنا محمدًا ﷺ بهذه المراحل المتناهية الدقة من مراحل الجنين فى الإنسان والتى تتراوح أبعادها بين الجزء من عشرة آلاف جزء من الملليمتر حتى تصل إلى حوالى عشرة ملليمترات فقط ، وهى أبعاد لم يكن ميسراً للإنسان أن يقيسها فى زمن لم تتوافر له أية وسيلة من وسائل التكبير أو التصوير فى داخل الرحم .

وهذه المراحل الجنينية حتى لو نزلت مع السقط وهى غارقة فى الدماء ما كان ممكنا للإنسان أن يدركها ، فضلاً عن رؤيتها ، ووصفها ، وتسميتها بأسمائها الصحيحة . ومن هنا كانت تعبيرات وصف مراحل جنين الإنسان كما جاءت فى كتاب الله ، وفى سنة رسوله ﷺ من أوضح جوانب الإعجاز العلمى فى هذين المصدرين الكريمين من مصادر الإسلام ، ومن أعظم الشهادات على أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية ، بل هو كلام الله

الخالق الذى أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله ﷺ وحفظه بعهده الكريم فى نفس لغة وحيه (اللغة العربية) على مدى الأربعة عشر قرنا الماضية وإلى أن يرث الله (تعالى) الأرض ومن عليها حتى يبقى القرآن الكريم حجة على الناس كافة إلى يوم الدين ، ويبقى وصف مراحل الجنين للإنسان فى أحاديث رسول الله ﷺ شاهدا أيضا على أن الرسول الخاتم ، والنبى الخاتم ﷺ الذى تلقّى هذا القرآن العظيم (ومثله معه) كان دوماً موصولاً بالوحى ، ومعلماً من قبل خالق السموات والأرض ؛ فصلاة الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .



٢٤ «إن كان فى شىء من أدويتكم شفاء ففى شرطة محجم...»

هذا الحديث النبوى الشريف أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه (كتاب الطب حديث رقم ٥٢٦٩) عن جابر بن عبدالله بلفظه : «إن كان فى شىء من أدويتكم شفاء ففى شرطة محجم أو شربة عسل أو لذعة نار وما أحب أن أكتوى» . و(حديث رقم ٥٢٦٧) وعنه أيضا بلفظ : «إن كان فى شىء من أدويتكم خير ففى شربة عسل أو شرطة محجم أو لذعة من نار وما أحب أن أكتوى» .

و (حديث رقم ٥٢٥١) عنه كذلك بلفظ : «إن كان فى شىء من أدويتكم أو يكون فى شىء من أدويتكم خير ففى شرطة محجم أو شربة عسل أو لذعة بنار توافق الداء وما أحب أن أكتوى» . و (حديث رقم ٥٢٤٩) برواية عن ابن عباس (رضى الله عنهما) عن النبى ﷺ قال : «الشفاء فى ثلاث فى شرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو كية بنار وأنا أنهى أمتى عن الكى» .

والحديث أخرجه أيضاً الإمام مسلم فى صحيحه (كتاب السلام حديث رقم ٤٠٨٦) عن جابر بن عبدالله بلفظه ؛ وأورده الإمام ابن ماجه فى سننه (كتاب الطب حديث رقم ٣٤٨٢) عن ابن عباس (رضى الله عنهما) مرفوعا قال : «الشفاء فى ثلاث :

شـربة عـسل ، وشـرطة مـحـجم ، وكـيــة بنارٍ وأنهى أمـتى عن الكـى» .

وكـذلك جاء فى مسند الإمام أحـمـد (حديث رقم ٢٠٩٨) عن ابن عباس (رضى الله عنهما) بلفظه ورواه أيضاً فى (حديث رقم ١٤١٧٤) عن جـابر بن عـبـدالله . ورواه أيضـاً فى (حـديث رقم ١٦٦٧٧) عن عقبة بن عامر الجهنى قال : قال رسول الله ﷺ : «**ثلاث إن كـان فى شـىء شـفـاء ففـى شـرطة مـحـجم ، أو شـربة عـسل ، أو كـية تصيب ألماً وأنا أكـره الكى ولا أحـبـه**» . ورواه أيضاً بلفظه السابق فى (حديث رقم ٢٥٩٩٥) عن معاوية بن حديج .

كـذلك روى الإمام البخارى عن جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**إن كـان فى أدويتكم شفاء ففى شرطة محجم**» (صحيح البخارى) .

والحديث له روايات عدة منها :

١ ـ «**إن أفـضـل مــا تـداويتـم بـه الحـجـامــة أو هـو من أمــثـل دوائكم**» (أخرجه الإمام مسلم) .

٢ ـ «**إن أمـثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحـرى**» أى العـود الـهـندى . (أخـرجـه الإمـام البـخـارى عن أنس رضى الله عنهما) .

٣ ـ «**خـيـر مـا تـداويتـم بـه الحـجـامـة**» . (أخـرجـه الشـيـخـان والنسائى عن أنس (رضى الله عنه) .

٤ ـ «**خير الدواء الحجامة**» . (أخرجه الإمامان البخارى وأحمد) .

٥ ـ **«الحجامة تنفع من كل داء إلا الهرم فاحتجموا»** (أخرجه الديلمى عن أبى هريرة رضي الله عنه ، وكذلك كل من البخارى ومسلم) .

٦ ـ **«إذا اشتد الحر فاستعينوا بالحجامة لا يتبيَّغ الدم بأحدكم فيقتله»** . (رواه الحاكم) .

٧ ـ **«نعم العبد الحجام يذهب الدم ويخفف الصلب ويجلو البصر»** (أخرجه كل من الترمذى وابن ماجة) .

٨ ـ **«نعم الدواء الحجامة تذهب الدم ، وتجلو البصر ، وتخفف الصلب»** . (أخرجه البخارى ومسلم) .

٩ ـ **«احتجم رسول الله ﷺ على كاهله وأخدعيه»** . (البخارى ومسلم) . والكاهل ما بين الكتفين ، والأخدعان هما عرقان على جانبى العنق .

والمحجم (والمِحجمة) هى ما يحتجم به من مشرط ، وأدوات مساعدة ، والحجم فى اللغة (المص) ، والحجام الذى يقوم بعملية الحجامة ، والفعل منها حَجِم يَحْجِم (بكسر الجيم وضمها) .

وتعتمد عمليه الحجامة على خلخلة الهواء على الأجزاء المتضررة من الجسم أو فوق نقاط محددة منه ، وذلك بواسطة كاسات ذات فتحتين يشفط الهواء من إحداهما وتوضع الأخرى فوق الموضع المحدد من الجسم فتبرز منطقة الجلد تحتها محتقنة بالدماء فتشرط بمشرط على هيئة جروح سطحية بسيطة بطول لا يتجاوز ثلاث سنتيمترات وبعمق لا يتجاوز الملليمتر ونصف ، ومنها يفصد الدم بالشفط .

وقد استخدمت الحجامة فى عدد من الحضارات القديمة ، وعرفها العرب فى جاهليتهم ، وأقرهم الرسول ﷺ على استخدامها ، ثم انتقلت إلى أوربا عبر الوجود الإسلامى فى الأندلس ، واستمر استخدامها إلى اليوم فى علاج الأرق ، والصداع ، والإدمان ، والآلام الجسدية المختلفة لأن لها مفعولاً مسكنًا مهدئًا كما أن لها تأثيرات فاعلة على جهاز المناعة فى الجسم مما يعينه على مقاومة الالتهابات الفيروسية والميكروبية المختلفة كما تساعد على تنشيط الموصلات العصبية ومراكز الحركة فى الجسم .

وقد أوصى رسول الله ﷺ باستخدام الحجامة فى حالات أوجاع الرأس الشديدة (الصداع) التى تحمل على ارتفاع ضغط الدم والصداع الوعائى . وحالات الصداع النصفى (المعروف بالشقيقة) ، وحالات تهيج الدم نتيجة لارتفاع التوتر الشريانى ، وزيادة عدد كريات الدم الحمراء ، وفى حالات الالتواء العنيف للمفاصل ، وحالات الآلام الشديدة ، وقد أكدت البحوث الطبية جدوى الحجامة فى كل هذه الحالات .

وتعتبر الحجامة شبيهة بعمل الإبر الصينية ، أو التدليك فتؤثر على الجزء المصاب أو الذى يعانى من الآلام إذ تنطلق نبضات حسية من مكان الإصابة أو الألم على هيئة استغاثة إلى مراكز الحس والتحكم غير الإرادى بالدماغ فتنبعث فى الحال أعداد من المواد الكيميائية والهرمونات من الجزء المصاب أو المريض إلى مناطق مركزية فى المخ فيرسل المخ على الفور إلى الأجهزة

المتحكمة فى عمليات الجسم الحيوية المختلفة أمرًا بإسعاف الجزء المصاب أو المتألم ، وإعانته على تجاوز إصابته أو ألمه أو بالوسائل المناسبة ، وأفضل العلاج ما يقوم به جسد الإنسان بذاته لمختلف الأجزاء فيه كما أثبتت البحوث الطبية المختلفة . وقد ثبت بالتجربة أن الحجامة تعيد للجسد حيويته ، وتقوى مناعته ، وتحفظ توازنه .

والحجامة تستخدم عند الحاجة ، ويمكن أن تكون فى كل وقت وتكرر عند الحاجة أيضا ولكن الحجامين المسلمين يفضلون عملها فى الأيام المفردة من النصف الأخير من الشهر القمرى من أمثال السابع عشر والتاسع عشر والحادى والعشرين من الشهر القمرى ، وهذه الأيام مشهورة فى الآثار النبوية الشريفة حيث احتجم فيها ﷺ واحتجم أصحابه الكرام .

ولذلك قال المصطفى ﷺ **«نعم العبد الحجام، يذهب الدم، ويخف الصلب، ويجلو عن البصر»** (رواه الترمذى) . وفى إقرار رسول الله ﷺ للحجامة كوسيلة من وسائل العلاج الناجع إقرار لضرورة العلاج من الأمراض والأوجاع بكل الوسائل العلمية المتاحة ، وهو ﷺ القائل : **«لكل داء دواء فإذا أصاب دواء الداء برأ بإذن الله»** (رواه مسلم) . والقائل : **«تداووا عباد الله فإن الله سبحانه لم يضع داءً إلا وضع معه شفاء إلا الهرم»** (رواه عدد من رواة الحديث ، واللفظ هنا لابن ماجه) .

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ احتجم على وركه من وثء (أى الالتواء العنيف للمفصل) كان به . (رواه أبو داود) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ احتجم على ظهر القدم وهو محرم من وجع كان به . (رواه أبو داود ، والنسائى) ، .

وعن ابن عباس (رضى الله عنهما) أن رسول الله ﷺ احتجم فى رأسه وهو محرم من شقيقة كانت به . (رواه البخارى) .

وقد ثبتت جدوى الحجامة فى كل الحالات التى وصفت لها فى أحاديث رسول الله ﷺ وذلك بالتجارب العلمية الحديثة ، وفى إثباتها تأكيد على وصف القرآن الكريم له بقول الحق(تبارك وتعالى) فيه : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ . (النجم : ٣ ، ٤) .

وتأكيده ﷺ على ضرورة العلاج بمختلف الوسائل الصحيحة المتاحة ومنها الحجامة فى زمن ساده الاعتقاد بأن الأمراض من عمل الشياطين والأرواح الشريرة ، أو من تأثير تجمعات النجوم وغير ذلك من الخرافات والأساطير ، والتى كانت وسائل العلاج الرئيسية فيها الشعوذة والدجل والسحر ، وتقرير مناهج العلاج الصحيحة وسط بحور من تلك الخرافات والأساطير ، لمما يشهد لهذا الرسول الخاتم والنبى الخاتم ﷺ بالنبوة وبالرسالة .

فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

٢٥ «يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة»

● أخرج الإمام مسلم فى صحيحه عن أم المؤمنين السيدة عائشة (رضى الله عنها) أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة» (صحيح مسلم : ٣٥٦٩)

● وفى رواية أخرى : «إن الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة» (صحيح مسلم : ٣٥٦٨) .

● وفى رواية ثالثة : «يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب» (صحيح مسلم : ٣٥٧٩) .

● وروى الإمام البخارى أيضاً عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال : قال النبى ﷺ فى بنت حمزة : «لا تحل لى يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب هى بنت أخى من الرضاعة» (كتاب الشهادات حديث رقم ٢٤٥١) .

● ورواه أيضاً عن السيدة عائشة (رضى الله عنها) بلفظ : «قال رسول الله ﷺ : نعم إن الرضاعة تحرم ما يحرم من الولادة» . (كتاب الشهادات حديث ٢٤٥٢) .

● ورواية أخرى عن عروة قال فيها : كانت السيدة عائشة (رضى الله عنها) تقول : «حرموا من الرضاعة ما تحرمون من

النسب» . (كتاب تفسيرِ القرآن حديث ٤٤٢٢) .

والحديث رواه الإمام البخارى أيضاً فى (كتابِ النكاح حديث رقم ٤٨٣٨) عن السيدة عائشة (رضى الله عنهاّ) قالت : «يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة» .

وكذلك رواه الإمام مسلم فى صحيحه (كتاب الرضاع حديث رقم٣٥٦٨ ، ٣٥٦٩ ، ٣٥٧٩) .

● وجاء أيضاً فى سنن الإمام الترمذى (كتاب الرضاع حديث ١٠٦٦) عن السيدة عائشة (رضى الله عنها) قالت : قال رسول الله ﷺ : «إن الله حرم من الرضاعة ما حرم من الولادة» . وقال الإمام الترمذى : هذا حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند أهل العلم منٍ أصحاب النبى ﷺ وغيرهم لا نعلم بينهم فى ذلك اختلافا .

● وفى سنن الإمام النسائى (كتاب النكاح حديث رقم ٣٢٦١) عن أم المؤمنين السيدة عائشة (رضى الله عنها) قالت : قال رسول الله ﷺ : «إن الرضاعة تحرم ما يحرم من الولادة» .

● وفى سنن الإمام أبى داود كتاب النكاح (حديث رقم ١٧٥٩) عن عروة عن أم المؤمنين السيدة عائشة (رضى الله عنها وأرضاها) قالت : قال النبى ﷺ : «يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة» .

● وفى مسند الإمام أحمد (حديث رقم ١٠٤٢) عن سعيد ابن المسيب قال : قال الإمام على (كرم الله وجهه) : قلت يا رسول الله : ألا أدلك على أجمل فتاة فى قريش؟ قال : ومن

هى؟ قلت : ابنة حمزة . قال : أما علمت إنها ابنة أخى من الرضاعة إن الله حرم من الرضاعة ما حرم من النسب» .

وفى لفظ آخر : «إنها ابنة أخى من الرضاعة وإنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب» .

● وفى رواية أخرى عن ابن عباس (رضى الله عنهما) أن النبى ﷺ أريد على ابنة حمزة فقال : «إنها ابنة أخى من الرضاعة ويحرم من الرضاعة ما يحرم من الرحم» . (حديث رقم ٢٥٠١) .

● وفى رواية ثالثة عن السيدة عائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ قال : «يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة» . (حديث رقم ٢٣٢٣٥) .

● وفى موطأ الإمام مالك رضي الله عنه كتاب الرضاع (حديث رقم ١١٠١) ذكر الحديث عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : «إن الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة» .

«لا رضاعة إلا وما كان فى الحولين..»:

● جاء فى موطأ الإمام مالك (كتاب الرضاع حديث رقم ١١١٠) أن سعيد بن المسيب (رضى الله عنه) قال : كل ما كان فى الحولين وإن كانت قطرة واحدة فهو يحرم ، ما كان بعد الحولين فإنما هو طعام يأكله . وكذلك قال ابن عباس وابن عمر (رضى الله عنا وعنهم أجمعين) .

● والحديث رقم ١١١٥ جاء عن عبدالله بن مسعود (رضى الله عنه) أنه قال : «لا رضاعة إلا ما كان فى الحولين» .

● **والحديث أخرجه الإمام الترمذى فى سننه (كتاب الرضاع حديث رقم ١٠٧٢) وقال : حديث حسن صحيح ، والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ وغيرهم أن الرضاعة لا تحرم إلا ما كان دون الحولين ، وما كان بعد الحولين الكاملين فإنه لا يحرم شيئاً .**

«لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء من الثدى..»:

هذا الحديث أخرجه الإمام الترمذى فى سننه (كتاب الرضاع حديث رقم ١٠٧٢) عن أم المؤمنين السيدة أم سلمة (رضى الله عنها) قالت : قال رسول الله ﷺ : **«لا يحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء من الثدى وكان قبل الفطام»** . وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

والحديث أخرجه الإمام ابن ماجة فى سننه (كتاب النكاح حديث رقم ١٩٣٦٦) عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **«لا رضاع إلا ما فتق الأمعاء»** .

«لا رضاع إلا ما أنشز العظم وأنبت اللحم»:

هذا الحديث أخرجه الإمام أبو داود فى سننه (كتاب النكاح حديث رقم ١٧٦٣) عن ابن مسعود (رضى الله عنه) قال : **«لا رضاع إلا ما أنشز العظم وأنبت اللحم»** .

والحديث أخرجه كذلك الإمام أحمد فى مسنده (حديث رقم ٣٩٠٥) عن ابن مسعود (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : **«لا يحرم من الرضاع إلا ما أنبت اللحم وأنشز العظم»** .

«لا تحرم الرضعة أو الرضعتان أو المصة أو المصتان...»:

هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه (كتاب الرضاع حديث رقم ٢٦٢٨) عن أم المؤمنين السيدة عائشة (رضى الله عنها)، وفى رواية أخرى عن أم الفضل (رضى الله عنها) أن النبى ﷺ قال: «**لا تحرم الرضعة أو الرضعتان أو المصة أو المصتان**».

والحديث أخرجه الإمام الترمذى فى سننه (كتاب الرضاع حديث رقم ١٠٦٩) عن أم المؤمنين السيدة عائشة (رضى الله عنها) بلفظه.

● وفى سنن الإمام النسائى (كتاب النكاح حديث رقم ٣٢٥٦) جاء الحديث الشريف بلفظ عن السيدة أم الفضل (رضى الله عنها) أن النبى ﷺ سُئل عن الرضاع فقال: «**لا تحرم الإملاجة والإملاجتان**». **وقال قتادة** رضي الله عنه **: المصة والمصتان. وروى الحديث أيضاً عن عبدالله بن الزبير** رضي الله عنه **(حديث رقم ٣٢٥٧).**

والحديث أخرجه كذلك الإمام النسائى فى السنن (كتاب النكاح حديث رقم ١٩٣٠) عن السيدة أم الفضل (رضى الله عنها). و (حديث رقم ١٩٣١) عن السيدة عائشة أم المؤمنين (رضى الله عنها وأرضاها).

والحديث جاء فى مسند الإمام أحمد (حديث رقم ١٥٥٢٨) عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه **. ورواه أيضاً عن أم المؤمنين السيدة عائشة (رضى الله عنها وأرضاها) (حديث رقم ٢٣٥٠٣) وجاء فى سنن الدارمى (كتاب النكاح حديث رقم ٢١٥١) عن السيدة عائشة بلفظه.**

● ويروى عن الإمام على (كرم الله تعالى وجهه) قوله : «**تخيروا للرضاع كما تخيروا للنكاح فإن الرضاع يغلب الطباع**» .

التعليق على الحديث:

حدد المصطفى ﷺ فترة الرضاعة بالحولين الأولين من عمر الرضيع وذلك بقوله الشريف : «**لا رضاعة إلا ما كان فى الحولين . .**» .

وانطلاقاً من هذا الهدى النبوى الشريف ذهب الفقهاء إلى أنه لا يحرم من الرضاعة إلا ما كان دون الحولين ، فإن ارتفع عمر المولود فوق اثنتين فإن هذه الرضاعة لا تحرم ، ويؤكد ذلك قول خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ : «**لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء من الثدى، وكان قبل الطعام**» ، (رواه كل من مسلم والترمذى) ، والطعام يعطى بعد الفطام الذى يتم بعد حولين كاملين انطلاقاً من قول الحق (تبارك وتعالى) : ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**﴾ (البقرة : ٢٣٣) .

وهذا التحديد الدقيق للفترة المثلى للرضاعة الطبيعية . . وتأكيد تأثيرها على الرضيع فى العامين الأولين من عمره أشار إليها قول المصطفى ﷺ : «**لا رضاع إلا ما أنشز العظم، وأنبت اللحم**» (رواه أبو داود) .

واختلف الفقهاء فى قدر الرضاع الذى يثبت به التحريم ، فمنهم من قال بأن الرضاع الذى يثبت به التحريم هو مطلق الرضاع الذى لا يتحقق إلا برضعة كاملة ، وذلك لقول المصطفى ﷺ : «لا تحرم المصة ولا المصتان» (رواه الجماعة ماعدا البخارى) .

ومنهم من قال بأن التحريم يثبت بثلاث رضعات فأكثر انطلاقاً

من قول المصطفى ﷺ : «**لا تحرم المصة ولا المصتان**» والظاهر أن الإرضاع الذى يثبت به التحريم هو مطلق الإرضاع الذى لا يتحقق إلا برضعة كاملة ، أخذاً بالأحوط ، وإيماناً بأن قليل الرضاع وكثيره سواء فى التحريم .

ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ، واللائى يُحَرَّمْنَ من النسب هن :

الأم ، والبنت ، والأخت ، والعمة ، والخالة ، وبنات الأخ ، وبنت الأخت ، تحقيقاً لقوله (تعالى) :

﴿حُرِّمَتْ عليكُمْ أُمَّهاتُكم وبناتُكم وأخواتُكم وعماتُكمْ وَخَالاتُكُمْ وبناتُ الأخِ وبناتُ الأُخْتِ وأُمَّهاتُكُمْ اللاَّتِي أرْضعْنكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ...﴾ (النساء : ٢٣) .

وانطلاقاً من هذا الأمر الإلهى تنزل المرضعة منزلة الأم ، وتحرم على المرضع ، هى وكل من ينتمى إليها بنفس الدرجة التى يحرم بها على الابن من أم النسب ومن ينتمى إليها فتحرم بالرضاع المرأة المرضعة وأمها وبناتها وأخواتها ، وبنات بنيها ، وأم زوجها وبناته وأخواته .

والمرضعة التى يثبت التحريم بخصوصها ، هى كل امرأة دَرَّ اللبن من ثدييها ، سواء أكانت بالغة أم غير بالغة ، متزوجة أو مطلقة

أو أرملة ، حاملاً أو غير حامل ، وسواء أكانت يائسة من المحيض أم غير يائسة ، مادامت الرضاعة قد تمت فى الحولين الأولين من عمر الرضيع ، فإن رضع بعد تجاوز الحولين من عمره فإن هذه الرضاعة المتأخرة لا تحرم شيئاً ، قلت أم كثرت .

وهذا التحديد الدقيق للفترة المثلى التى تتم فيها الرضاعة الطبيعية بالحولين الأولين من عمر الرضيع ، والتأكيد على تأثير الرضاعة فى تلك الفترة على بناء جسده تأثيراً يبقى معه إلى آخر عمره ، ويبلغ من الحدة أنه يحلل له ويحرم فى أمر الزواج .

وقد أثبتت الدراسات الطبية مؤخراً وجود علاقة مؤكدة بين الرضاعة فى العامين الأولين من عمر الوليد وكفاءة الجهاز المناعى فى جسمه ، ومن ثم قدرته على مقاومة الأمراض ، وذلك بسبب انتقال بعض العوامل الوراثية والمناعية من حليب المرضعة إلى الطفل الرضيع واندماجها مع سلسلة المورثات فى داخل خلاياه . والرضيع يكتسب هذه المناعة فى صورة أجسام مضادة تنتقل إليه عن طريق لبن الأم المرضعة ، ولا يمكن له أن يكتسبها عن طريق أى لبن صناعى . وبعد العامين من عمر الوليد يصبح جسمه قادراً على إنتاج هذه الأجسام المضادة الخاصة به بنفسه .

وهذه الحقيقة التى أثبتتها الدراسات الطبية مؤخراً قد سبق كل من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة بالإشارة إليها من قبل ألف وأربعمائة سنة ، فى زمن لم يكن لأحد من الخلق إدراك لذلك أو لشىء منه ، فقد حرم كل من القرآن والسنة الزواج بين الذين اشتركوا فى الرضاع من امرأة واحدة فى خلال العامين الأولين من عمر كل منهم ، واعتبرهم الشرع إخوة من الرضاعة ،

كما اعتبر مرضعتهم أماً لهم بالرضاعة تنطبق عليها به كل حقوق الأمومة ـ ما عدا الإرث ـ ويحرم من هذه الصلة ما تحرمه الأمومة بالنسب .

وعلاقات النسب بالبنوة والأخوة تعنى اشتراك أفراد الأسرة الواحدة فى التركيب المناعى الوراثى ، كما يشتركون فى بقية الصفات الوراثية مع وجود الفروق الفردية المميزة لكل منهم . لذلك حمل لنا التراث الإسلامى مقولات لعدد من الصحابة والتابعين (عليهم رضوان الله أجمعين) تنصح بعدم الاستمرار في الزواج من الأقارب خاصة . أبناء وبنات العمومة والخئولة جيلاً بعد جيل حتى لا يضعف النسل ، فقد روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) قوله لآل السائب : «اغتربوا لا تضووا» ، أى تزوجوا من الغريبات عنكم لئلاً يضعف نسلكم وينحف حتى يذوى . وقد أيدت الدراسات الحديثة ذلك بسبب تقارب الصفات الوراثية بين أبناء الأسرة الواحدة .

وعلى الرغم من ذلك فإن التزاوج بين الأخ وأخته كان مسموحاً فى الجيل الأول من أبناء وبنات نبى الله آدم (على نبينا وعليه من الله السلام) وزوجه أمنا حواء (رضي الله عنها) ، وحتى تحت هذه الظروف التى لم يتوافر فيها غرباء شرع ربنا (تبارك وتعالى) شيئاً من المخالفة بمعنى ألا يتم التزاوج بين أخ وأخت توأمين ولدا فى نفس الوقت ومن نفس البطن ، ولكن سمح للأخ من أبناء آدم فى الجيل الأول أن يتزوج أختا مخالفة له فى توقيت الولادة .

والحكمة من هذه المخالفة ، ومن الوصايا المتعددة بعدم

استمرارية الزواج فى داخل الأسرة الواحدة لأجيال متعاقبة قد اتضحت من حقيقة أن الكثير من الأمراض الموروثة (الوراثية) ظهرت ولا تزال تظهر فى الأسر التى قامت على زواج الأقارب لفترات زمنية طويلة .

والتفسير المنطقى لذلك أن التقارب الشديد فى الصفات الوراثية يؤدى إلى شىء من الاضطراب منها مما يتسبب فى تنحى بعض الصفات الإيجابية التى كانت سائدة فى الشفرة الوراثية ، وسيادة بعض الصفات السلبية التى من طبيعتها أن تكون متنحية فيها .

والشفرة الوراثية والصفات التى تحملها مخلوقة فى زوجية واضحة ، وعادة ما تسود الصفات الجيدة وتستتر الصفات الرديئة وتتنحى إلا فى حالات العقاب أو الابتلاء .

ويؤيد ذلك أنه فى حالات نقل وزراعة الأعضاء فإن الجسم المتلقى لا يرفض العضو المنقول إليه إذا كان مأخوذاً من أمه بصفة خاصة . ثم إذا كان منقولاً من أبيه ، وتقل احتمالات قبول العضو المنقول وعدم رفضه من قبل الجسم المنقول إليه بتباعد درجة القرابة من الوالدين إلى الأشقاء ثم إلى الأخوال والأعمام والأجداد ، ثم إلى أبناء الخئولة والعمومة و هكذا حتى تصل إلى الإخوة فى الرضاعة ، وذلك لتزايد نسبة التجانس النسيجى فى داخل الأسرة الواحدة ، وتناقصها بالتباعد عن الوالدين إلى باقى أفراد العائلة ، حسب درجة ذلك التباعد . ولتأثير الرضاعة فى الحولين الأولين من عمر الإنسان على بناء الأنسجة فى جسمه (جسم الرضيع) .

كذلك أشارت الدراسات الطبية إلى أن نسبة قبول جسم الإنسان للعضو المنقول إليه وعدم رفضه تتزايد بالقيام بعملية نقل الدم من المتبرع بالعضو المنقول إلى متلقيه لثلاث مرات قبل القيام بأداء عملية زراعة العضو المنقول . رغم وجود الاختلاف فى التجانس النسيجى بينهما . وقد تم تفسير ذلك بتزايد نسبة الخلايا الليمفاوية من المجموعة (T) التى تقوم بتثبيط عمل خلايا ليمفاوية أخرى من نفس المجموعة مهمتها طرد الأجسام الغريبة وهى نفس العملية التى تجعل جسم الأم الحامل لا يرفض وجود الجنين داخل رحمها ، أو يقوم بطرده لكونه جسماً غريباً ، وذلك بتحقيق قدر من التأقلم المناعى بينهما على الرغم من وجود نسبة من الاختلاف فى التجانس النسيجى بين كل من الأم الحامل وجنينها ، ويفسر القىء المتكرر فى المراحل الأولى من الحمل ، وظهور بعض ظواهر التسمم فى مراحله المتأخرة بأنه من عمل الخلايا الليمفاوية الطاردة للأجسام الغريبة ، وعلى أنه صورة من صور رفض الجنين كجسم غريب عن جسم الأم .

كذلك يفسر قبول جسم الإنسان للأعضاء المنقولة إليه بأنه صورة من صور التأقلم المناعى الذى يزيد بزيادة درجة القرابة بين المعطى والمتلقى .

انطلاقاً من هذه الملاحظات قام الأستاذ الدكتور قيس الأنصارى (الأستاذ بكلية الطب ـ جامعة القاهرة) بتقديم الاقتراح بأن لبن الأم المرضع يعمل على محو بعض التجمعات المناعية من جسم الطفل الرضيع ، ويغير من تكوينه المناعى ليقاربه من التكوين المناعى لأخت له من الرضاعة من نفس الأم المرضعة ،

تماماً كما يحدث فى عملية نقل الدم للمريض المتلقى لعضو يزرع فى جسده من المتبرع له بهذا العضو ، على الرغم من وجود بعض الاختلاف فى التجانس النسيجى بينهما ، فبتكرار عملية نقل الدم من المعطى للمتلقى لثلاث مرات - على الأقل - يتم تثبيط عمل الخلايا الطاردة للجسم الغريب بواسطة جسم المتلقى للعضو الغريب لقيام قدر من التأقلم المناعى بينهما ، ويشبه ذلك بالتأقلم المناعى الذى يقوم بين جسم الأم الحامل وجنينها ، وهنا يتضح التقارب بين عملية الإرضاع من أم واحدة لطفلين فى الحولين الأولين من عمرهما ، وبين حمل أم واحدة لجنينين فى بطن واحدة ، أو فى حملين مختلفين ، ومن هنا كانت هذه الومضة النورانية المبهرة فى كتاب الله (سبحانه وتعالى) وفى سنة رسوله ﷺ ، تلك الومضة التى حرمت من الرضاعة ما يحرم من النسب ، والتى يقول فيها ربنا (تبارك وتعالى) فى محكم كتابه من مقامات التحريم : ﴿ . .**وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ**. . ﴾ (النساء : ٢٣) .

ويقول فيها خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ : «**يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة**» (**أو من النسب**) ويضيف : « . . **لا رضاعة إلا ما كان فى الحولين**» .

ويندهش الإنسان لهذه الدقة العلمية الفائقة فى كتاب الله ، وفى سنة خاتم أنبيائه ورسله (عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم) ، وهو العلم الذى أنزله ربنا (تبارك وتعالى) على خاتم أنبيائه ورسله من قبل ألف وأربعمائة سنة ، وفى مجتمع لم يكن

له من أسباب العلم أو التدوين شيء ، ولا يمكن لعاقل أن يتصور مصدراً لهذا العلم إلا الله الخالق .

ومثل هذه الومضات النورانية من الحق فى كتاب الله وفى سنة رسوله ﷺ هى حجة على أهل عصرنا جميعا ، وإلى جميع الناس حتى قيام الساعة ، ودعوة لهم جميعاً إلى قبول الله رباً ، والإسلام ديناً ، وسيدنا محمد ﷺ نبياً هادياً ورسولاً خاتما ، فصلى الله وسلم وبارك عليه و على آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

الفهرس